وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سلسة أبحاث في العقيدة

(5)

القولُ الفصلُ
في عصمة الرّسُل

إعداد

عبد الله محمد عكور

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

القولُ الفصلُ
في عصمة الرّسُل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله مرسل رسله إلى البشر ليسعدوا بهم في دار القرار، واصطفاهم لقربه وأخلصهم بخالصة ذكرى الدار، واجتباهم لحضرة قدسه فصاروا بذلك من المصطفين الأخيار، أرسلهم للبشر وجعلهم حجته على خلقه بتطهيرهم من الدنس والأوزار، وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الغفار، يكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُ الله ورسوله، سيد المقربين والأبرار، امتن الله عليه بتزكيته مما جبل عليه البشر من ظلمة الأكدار، زكى لسانه فقال: وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يوحى، وزكى قلبه فقال: ما كذب الفؤاد ما رأى، وزكى بصره فقال: ما زاغ البصر وما طغى، وزكى خُلُقه فقال: وإنك لعلى خُلق عظيم، وزكاه كله فقال: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، صلى الله عليه ما تعاقب الليل والنهار، وعلى آله المقربين الأخيار، وصحابته الطيبين المتقين منهم والأبرار، صلاة دائمة إلى يوم القرار، وسلم تسليماً كثيرا دائماً.

وبعد: فقد أسعدني الله جلّت منّته بالتوفيق لورود ساحل هذا التحقيق، لأنعم ساعات سعيدة، ولحظات مديدة بتفيؤ ظلال السير العطرة، لصفوة الله من خلقه، ألا وهم أنبياء الله ورسله، صلى الله على جميعهم، وسلم تسليماً كثيرا، حيث منّ الله تعالى عليّ بالذبّ عن جنابهم العطر، مما نسبه إليهم مَن جهل مقامهم، وقبع على ظاهر بعض النصوص الواردة في ثنايا الكتاب العزيز والسنة العطرة المطهرة، فوقف على ظاهر هذه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النصوص، ولم يسبر غورها، وظن أنه على بصيرة من أمره، فليته إذ جهل سكت فسلم من الوقوع في هذا الجناب الأقدس لرسل الله تعالى وسفرائه إلى خلقه، أو قال خيراً فغنم، ولكن هذه هي حكمة الله في خلقه، حيث البون الشاسع بين مخلوق وآخر وتباينهم في الفهم والاستنباط، وعلى كلٍ فإن من أسمائه تعالى "البديع" وهو الذي يوجد الأشياء على غير مثال سبق، فهو دال على سعة قدرة الله تعالى وصلاحيتها للإيجاد، وإطلاق علم الله وصلاحيته للإمداد، وعلمناه من لدنا علما، وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما.

فهذه هي الرسالة الخامسة التي صنفتها، ضمن سلسلة أبحاثي التي وضعتها في العقيدة، وقد خصصتها لبحث أمر جلل يتعلق بأنبياء الله تعالى، ألا وهي تنزيه الله تعالى إياهم عن الوقوع فيما ابتلى به غيرهم من خلقه، من الوقوع في الذنوب ومقارفة المعاصي، لذا هي تبحث في جانب ما أسماه علماء العقيدة بالنبويات، وهي الشق الآخر من كلمة التوحيد التي بعث الله بها أنبياءه ورسله.

ما هي العصمة؟

قال الأصمعي: العصم: أثر كل شيء من ورس أو زعفران أو نحوه قال: وسمعت امرأة من العرب تقول: أعطني عُصُم حنّائك أي ما سلت منه، والمعنى أنه وصفه بالخصب وكثرة الرعي، يريد أن العصم صار كالقيد له[1].

(1) الغريب للخطابي1/461 مادة عصم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال في الفائق:

العُصُم: أثر الورس والحِنَّاء ونحوهما، ومنه قول الأعرابية: أعطيني عُصُمَ حِنّائِكَ أي نضارته، فاستعير للوَدْح، أى صار ذلك له كالقيد، وقيل هو جمع عِصام وهو ما يعصم به الشيء، أى يُربْطَ كِعصام القربة، يريد أن الخِصب ربطه فلا يبعد في المرعى، فهو كالمقيد الذى لا يبرح [2].

وقال في لسان العرب:

عُصُمُ الرَّوايا فهي الحبال التي تُثْبَتُ في عُراها ويُشَدُّ بها على ظهر البعير، واحدها عِصامٌ. وأَعْصَمْتُ المَزادة إِذا شددتها بالعِصامَيْنِ [3].

وقال أيضاً:

وقال الزجاج في قوله تعالى: سآوِي إِلى جبلٍ يَعْصِمُني مِنَ الماءِ ؛ أَي يمنعُني من الماء، والمعنى مِنْ تَغْرِيق الماء، قال: لا عاصِمَ اليومَ من أَمر الله إِلا مَنْ رَحِم، هذا استثناء ليس من الأَول، وموضعُ مَنْ نَصبٌ، المعنى لكنْ مَنْ رَحِمَ الله فإِنه معصوم، قال: وقالوا يجوز أَن يكون عاصِم في معنى مَعْصُوم، ويكون معنى لا عاصِمَ لا ذا عِصْمَةٍ، ويكون مَنْ في موضع رفعٍ، ويكون المعنى لا مَعْصومَ إِلا المرحوم؛ قال الأَزهري: والحُذَّاقُ من النحويين اتفقوا على أَن قوله لا عاصِمَ بمعنى لا مانِعَ، وأَنه فاعلٌ لا مفعول، وأَنَّ مَنْ نَصْبٌ على الانقطاع. و اعْتَصَمَ فلانٌ بالله إِذا امتنع به. و العِصمة: الحِفْظُ. يقال: عَصَمْتُه فانْعَصَمَ. و

---

(2) الفائق 139/2.
(3) 182/12.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اعْتَصَمْتُ بالله إِذا امتنعْتَ بلُطْفِه من الـمَعْصِية. و عَصَمه الطعامُ: منَعَه من الـجوع. وهذا طعامٌ يَعْصِمُ أَي يمنع من الـجوع. و اعْتَصَمَ به و اسْتَعْصَمَ امتنَعَ وأَبَى؛ قال الله عز وجل حكايةً عن امرأَة العزيز حين راودَته عن نَفْسه: فاسْتَعْصَمَ، أَي تَأَبَّى عليها ولم يُجِبها إِلى ما طلَبَتْ؛ قال الأَزهري: العرب تقول أَعْصَمْتُ بمعنى اعْتَصَمْت؛ ومنه قولُ أَوس بن حجر:

فأَشْرَط فيها نفْسَه وهْو مُعْصِمٌ وأَلْقى بأَسْبابٍ له وتَوَكَّلا

أَي وهو مُعْتَصِمٌ بالحبْل الذي دَلاَّه. وفي الحديث: مَنْ كانت عصْمتُه شَهادَةَ أَن لا إِلهَ إِلا الله أَي ما يَعْصِمه من الـمَهالِك يوم القيامة؛ العِصْمَةُ: الـمَنَعةُ. و العاصِمُ: المانعُ الحامي. و الاعْتِصامُ: الامْتِساكُ بالشيء، افْتِعالٌ منه؛ ومنه شِعْرُ أَبي طالب:

ثِمالُ اليتامَى عِصْمةٌ للأَرامِلِ

أَي يَمْنَعُهم من الضَّياعِ والحاجة. وفي الحديث: فقد عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهم وأَمْوالَهم. وفي حديث الإِفْكِ: فعَصَمَها الله بالوَرَعِ. وفي حديث عُمَر: و عِصْمة أَبْنائِنا إِذا شَتَوْنا أَي يمتنعون به من شدَّة السَّنة والجَدْب. و عَصَمَ إِليه: اعتصم به. و أَعْصَمَهُ: هَيَّأَ له شيئاً يَعْتَصِمُ به. و أَعْصَمَ بالفَرَسِ: امْتَسَكَ بعُرْفِه، وكذلك البعيرُ إِذا امْتَسَكَ بجَبَلٍ مِنْ حِبالِهِ؛ قال طُفيل: إِذا ما غَزَا لم يُسْقِط الرَّوْعُ رُمْحَه، ولم يَشْهَدِ الهَيْجا بأَلْوَثَ مُعْصِمِ أَلْوَث: ضعيف، ويروى: إِذا ما غَدا. و أَعصمَ الرجلُ: لم يَثْبُت على الخيل. و أَعْصَمْتُ فلاناً إِذا هَيَّأْت له في الرَّحْلِ أَو السَّرْج

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما يَعْتَصِمُ بـه لـئلا يَسـقُط. و أَعصـم إِذا تشـدَّد واسْتَمْسَـكَ بشـيءٍ مـن أَن يَصْرَعَه فرَسُـه أَو راحلتـه؛ قـال الـجَحّاف بـن حكـيم: والتَّغْلَبـيّ علـى الـجَوادِ غَنِـيمة، كِفْـل الفُروسـةِ دائـمِ الإِعْصـامِ و العِصْـمةُ: القِـلادةُ، والـجمعُ عِصَمٌ، وجمعُ الـجمعِ أَعْصـام، وهـي العُصْـمَةُ أَيضـاً؛ وجمعُهـا أَعْصـام؛ وأَعْصَـمَ الرجـلُ بصـاحبِهِ إِعْصـاماً إِذا لَزِمَه،وفـي التنزيـل: ولا تُمَسِّـكُوا 1 بِعِصَـمِ الكَـوافِرِ؛ وجـاء ذلـك فـي حـديث الـحُدَيْبـية جمـع عِصْمة، والكَوافر: النساءُ الكَفَرَةُ، قال ابن عرفة: أَي بِعَقْدِ نِكـاحِهِنَّ. يقـال: بـيدِه عِصْمةُ النِّكاح أَي عُقْدةُ النِّكاح؛ قال عروة بن الورد:

إِذاً تَمَلَكْتُ عِصْمةَ أُمِّ وهْبٍ علـى ما كان مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ

قال الزجاج: أَصلُ العِصْمة الـحبْلُ. وكلُّ مـا أَمْسَـك شـيئاً فقـد عَصَـمَهُ؛ تقول: إِذا كَفَرْتَ فقد زالـتِ العِصْـمةُ. ويقـال للراكـب إِذا تَقَحَّـمَ بـه بَعِـيرٌ صَعْبٌ أَو دابَّةٌ فامْتَسك بواسِطِ رَحْله أَو بقَرَبـوس سَـرْجِه لـئلا يُصْـرَع: قـد أَعْصَمَ فهو مُعْصِمٌ. وقـال ابـن الـمظفَّر: أَعْصَـمَ إِذا لـجأَ إِلـى الشـيء و أَعْصَـم بـه. وقولـه تعـالى: و اعْتَصِـمُوا بحَبْـلِ الله؛ أَي تَمَسَّـكُوا بعهـدِ الله، وكذلك فـي قوله: ومَنْ يَعْتَصِمْ بالله ؛ أَي مَنْ يَتَمَسَّكْ بحَبْلِهِ وعَهْدِهِ [1].

وقال في النهاية في غريب الأثر:

عصم فيه: من كانت عِصْمَتُه شـهادةَ أن لا إلـه إلا الله، أي مـا يعْصـمُه مـن المهالِك يوم القيامة، العِصْمةُ: المَنَعة، والعاصمُ: المـانعُ الحـامي، والاعْتِصـام: الامْتِساكُ بالشَّيء افتِعال منه، ومنه شعر أبي طالب:

(1) لسان العرب 12/ 404

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثِمالُ اليَتَامَى عصْمةٌ للأرامِلِ

أي يَمْنَعُهم من الضَّياع والحاجة، ومنه الحديث: فقد عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهم، وحديث الإفْك: فَعَصَمها الله بالوَرَع، وحديث الحُدَيبية ولا تُمَسِّكُوا بِعَصمِ الكَوافِرِ جمعُ عِصْمَة، والكوافر النِّساء الكَفَرَة، وأراد عَقْد نِكاحِهنَّ.

وحديث عمر: وعِصْمَةُ أبْنائنا إذا شَتَوْنا، أي يَمتَنِعُون به من شدَّة السَّنَةِ والجَدْبِ[2].

قلت: العصمة لغةً هي بمعنى المنع والوقاية، قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ **(هود: من الآية43)** أي لا مانع من الغرق، وقال تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ **(يوسف: من الآية32)** أي استمسك بمبدئه وتحفظ من الوقوع في الفاحشة، والسين للطلب، أي كأنه طلب ما يعتصم به مما طلبته منه.

العصمة في الاصطلاح

للعلماء في تعريف العصمة تعاريف عدة، تدور كلها حول حفظ الله تعالى لأنبيائه مما نهى عنه منها:

(2) النهاية في غريب الأثر (3: 249) مادة عصم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال الفيروزآبادي: حفظ الله تعالى أنبياءه بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل النفسية والجسمية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق...[1].

وقال أبو البقاء: إنها عدم قدرة المعصية، أو خلق مانع منها غير ملجئ، بل ينتفي معها الاختيار[2].

وقال الجرجاني: العصمة؛ هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها[3].

وهناك تعريفات أخرى للعصمة كلها تشير إلى؛ أنها ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الوقوع فيما نهى الله عنه، سواء كان كبيرة أو صغيرة.

قلت: قولهم "ملكة نفسانية" أي قدرة كامنة في النفس تحول بين صاحبها وبين ارتكاب المنهيات، وهذه الملكة لا تكون لأي واحد، بل لا تكون إلا لمن منّ الله تعالى عليه بها وهم المخلَصون من الأنبياء والرسل والأولياء، لكن العصمة تكون للرسل، والحفظ للأولياء، والفرق بينهما أن:

العصمة: حفظ الله لأنبيائه ما داموا في الدنيا، أي بمعنى أنها لا تتخلف ولا تنقطع ما دام التكليف الشرعي، فلا يصح شرعاً وقوع نبي في منهي عنه البتة.

---

(1) بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز 73/4.
(2) ردود على أباطيل ص 297.
(3) التعريفات ص 195 رقم التعريف 973.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أما الحفظ: فقد يقع الولي في المنهيات لغلبة القضاء عليه، لكنه لا يصر عليها، بل يستغفر ويتوب فوراً. وهذا هو الفيصل بين العصمة والحفظ.

الذنب، المعصية، السيئة، الفاحشة

لا بد من تعريف لهذه المصطلحات أيضاً حتى نعرف ماهية العصمة الممنوحة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع أنها مسميات لشيء واحد، لكن اختلفت التسمية باختلاف المرتبة:

الذنب: فعل ما يخرج عن الفطرة، قال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون، وهذا الذنب هو قتل القبطي بوكزة من سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

المعصية: الخروج عن الطاعة بعد البلاغ مع وجود الإرادة لها.

السيئة: فعل ما يسوء وهي ضد الحسنة.

الفاحشة والكبيرة بمعنى واحد وهي الذنب الكبير.

اعلم أن هذه الأمور لها حقيقة ولها صورة، فالحقيقة هي ارتكاب المخالفة، والخروج عن الطاعة قصداً من العاصي مع وجود مناط التكليف (العقل والإرادة) بأن يكون غير مستكره على فعلها ولا ناسيا، أما صورتها فهي ارتكاب الفعل من غير إرادة المخالفة، كأن يفعلها ناسياً أو متأولاً، كأكل أبينا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة، فصورة الأكل من الشجرة مخالفة لوجود النهي المسبق من الله تعالى بعد الأكل منها، وفي الحقيقة أنها غير معصية لعدم وجود العزم والإصرار على الأكل، إنما كان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأكل بعد نسيان الأمر بعدم الأكل، قال تعالى معتذراً عن أكل أبينا آدم من الشجرة (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) **(طه:115)** والناسي غير مؤاخذ لقوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ولقوله عليه الصلاة والسلام (رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل[1].

لذا تعمد الذنب والمعصية مستحيل على الأنبياء لعصمة الله تعالى لهم من ذلك، أما أن تقع صورة المعصية منهم عليهم الصلاة والسلام فهذا مما ورد به النص القرآني، كأكل أبينا آدم من الشجرة، وقتل القبطي على يد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وخرق السفينة وقتل الغلام على يد الخضر عليه السلام، والكذبات الثلاث التي نسبت لأبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأخذ الفداء من أسرى بدر.

كل ذلك وقع بصورة المعصية، أي أن ظاهر هذه الأمور مخالف للفطرة، لكن إذا أحطنا هذه الأعمال بما يبررها شرعاً لربما انقلبت طاعة وليست معصية، وهذا هو الفيصل في الأمر، وهو الذي زلّ فيه كثير من العلماء الذين نسبوا الذنب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وجوزوا عليهم وقوع الذنب، وقصروا العصمة من الكفر والكبائر فقط وقوفاً مع ظاهر الآيات القرآنية، مع أنهم تناقضوا في نسبة الذنب لهم عليهم الصلاة والسلام، فقد قالوا: إن العصمة واقعة لهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من الكفر والكبائر قبل النبوة وبعدها، أما الصغائر فجائزة الوقوع، لكن لا يصرون عليها، وهذا تناقض، فقد وقعت صورة الكفر من أبينا إبراهيم

(1) رواه الدارمي في سننه 225/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عليه الصلاة والسلام عندما قال عن الكوكب هذا ربي، والإقرار باللسان لغير الله رباً كفر، فقد نسف هذا القول من أبينا إبراهيم قول من قال بعصمتهم من الكفر، وقتل النفس من سيدنا موسى والخضر عليهم الصلاة والسلام هو كبيرة من الكبائر، فها هو وقع منهم عليهم الصلاة والسلام ما هو في صورته كفر وكبيرة، لكن هل هذه الأعمال هي في الحقيقة كفر وكبيرة؟؟؟ من هنا وجب التفريق بين ما صورته ذنب وبين ما هو ذنب في الحقيقة، لذا نسبة الذنب سواء كان صغيرة أم كبيرة لنبي من الأنبياء وقوفاً مع ظاهر الآيات القرآنية الشريفة ربما يوقع الإنسان في الكفر، وذلك لأنه لا يجوز نسبة الكفر لعوام المسلمين الذين شهدوا لله تعالى بالوحدانية، وللنبي بالرسالة، لأن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كذلك وإلا عادت على قائلها.

وخلاصة الأمر:

أن عصمة الأنبياء والرسل واجبة من الكفر والكبائر والصغائر والمكروهات وخلاف الأولى وصغائر الخسة وخوارم المروءة قبل النبوة وبعدها، وأن كل ما أوهم في حقهم عليهم الصلاة والسلام نقصاً من الكتاب والسنة وجب تأويله.

فمن الكبائر: القتل العمد، وشرب الخمر، والربا والميسر...الخ

ومن الصغائر: خائنة الأعين، واستراق السمع، والتنابز بالألقاب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن المكروهات: وطء الزوجات وهن صائمات صوماً مشروعاً أو وهن معتكفات أو في حال إحرامهن.

وخلاف الأولى: عدم التيامن في الأمور المندوبة كدخول المسجد بالرجل اليسرى والخروج باليمين، ولبس الثوب بالشمال أولاً وخلعه باليمين، وما في معنى هذه الأمور.

ومما يخل بالمروءة: الاحتلام والأكل في الطريق، والحرف الدنية كالحجامة، وعدم كمال العقل، والخروج حاسر الرأس إلى السوق، ودناءة الآباء وعهر الأمهات، والغلظة والفظاظة، والعيوب المنفرة كالبرص والجذام والجنون قليله وكثيره، والعمى وغير ذلك.

لأن الأنبياء لا يقاسوا بغيرهم، ومن قاس الأنبياء بغيرهم كان كمن قاس الملائكة بالحدادين أو السوقة.

المَلَكَةُ النفسانية:

الملكة النفسانية التي يهبها الله تعالى لأصفيائه من خلقه لا تكون بمحض الاكتساب، وإنما هي منّة من الله تعالى لرسله وأنبيائه، فما هي ماهيتها؟ للجواب التقريبي لهذا لا بد من التجوال في بعض رياض السنة النبوية لنتعرف من خلالها على شيءٍ من هذه الملكة.

روى مسلم في صحيحه عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال: صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] هذا الحديث فسّر لنا مراتب الدين كاملة، فالإسلام هو حظ الجوارح من العمل، وأوّل ذلك شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ هي ملاك الدين، وهي مفتاح الجنة، لا سبيل لدخولها إلا بهذه الشهادة، ومن قالها فقد عصم دينه وماله، وأما الصلاة فهي عماد الدين، وهي أول ما يُسأل عنه المرء، وأما الزكاة فهي قرينة الصلاة، وهي نظام التكافل الاجتماعي عند المسلمين، والصوم هو تلك الصفة الصمدانية التي يتحلى بها المسلم طيلة النهار في شهر رمضان من كل عام، وهو جُنةٌ للعبد من النار، والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام.

هذه الأركان الخمسة لا يُسمى الرجل مسلماً إلا إذا أتى بها كاملةً، فإن أتى بها فهو المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله أن لا يدخله النار، وإن اقترف شيئاً من المحرمات فأمره إلى الله إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، ولا سبيل للترقي إلى المرتبة الثانية من مراتب الدين إلا بعد التحقق بهذه المرتبة، فإذا قال الرجل أنا مؤمن ولم يجيء بهذه المرتبة فهو كاذب في دعواه.

---

(1) رواه مسلم 37/1 كتاب الإيمان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما المرتبة الثانية فهي الإيمان، وقد عرّفه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه التصديق بوجود الله تعالى، ووجود الملائكة، والكتب السماوية المنزلة على بعض الرسل، والإيمان الإجمالي بوجود الرسل، وأنهم مرسلون من عند الله لهداية البشر، والإيمان بيوم القيامة، وأن كل مكلف سيحاسب على عمله فيه، ثم يكون مصير العباد إما إلى جنة خالداً فيها، وإما إلى نار خالداً فيها، وبعدها الإيمان بالقدر خيره وشره.

فإذا تحقق العبد بهذه الأساسيات زيادة على ما جاء به من أساسيات المرتبة الأولى سمي مؤمناً، ولا سبيل إلى الترقي إلى المرتبة الثالثة إلا بالتحقق بالمرتبتين السابقتين وهما؛ الإسلام والإيمان، فإذا تحقق بهما كان أهلاً للترقي إلى المرتبة الثالثة وهي الإحسان.

لكن هناك أموراً كمالية لهاتين المرتبتين منها ما هو مكمل لمرتبة الإسلام، ومنها ما هو مكمل لمرتبة الإيمان، فمما هو مكمل لمرتبة الإسلام: قوله عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده [1]).

ومما هو مكمل لمرتبة الإيمان قوله عليه الصلاة والسلام: فيما رواه عنه أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق [2].

فمن هذه الشُعب وجل القلوب عند ذكر الله تعالى، وخشوعها عند سماع آيات الله وزياد الإيمان بذلك، والخوف من الله تعالى في السر والجهر، وتحقيق التوكل عليه والمحبة له، والرضا بقضائه، واختيار تلف

(1) رواه مسلم في صحيحه 65/1.
(2) رواه ابن حبان في صحيحه 420/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، والبغض في الله والحب في الله، والعطاء له والمنع له، وأن يكون هواه تبعاً لما جاء من عنده، وغير ذلك من هذه المكارم.

فالإسلام حظ الجوارح، والإيمان حظ القلب، لذلك قال المحققون: كل مؤمن مسلم، ولا عكس، ومن أجل هذا كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى على ميت: اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان [1] وما ذاك إلا لأن الأعمال بالجوارح، وهذه تكون في الحياة، وقد يكون فيها الرجل منافقاً، والنفاق من أعمال القلب، ولا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، فأما عند الموت فلا يبقى إلا التصديق بالقلب، وما كان في القلب هو الذي يحاسب الله عليه، فإن كان بنيةٍ صالحة تقبله الله، وإلا فلا.

وأما الإحسان فقد جاء بيانه في القرآن في عدة آيات، وجاء ذكره مقروناً بالإيمان تارة، وبالإسلام تارة، وبالتقوى تارة وبالعمل الصالح تارة، فمن المقرون بالإيمان قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ **(المائدة:93)** وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ **(الكهف:30)**.

ومما جاء مقروناً بالإسلام قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ **(البقرة:**

(1) رواه الطبراني في الأوسط 31/2.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

112) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ **(لقمان:22)**.

والمقرون بالتقوى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ **(يونس:26)**.

فجاء ذكر الإحسان مقروناً بالإسلام تارة لأن المحسن لا يستطيع ترك العمل أي الطاعة، وجاء مقروناً بالإيمان لأن المحسن حسن العقيدة، حسن الأخلاق، لا يذر خلقاً سنياً إلا تخلق به، ولا خلقاً دنيّاً إلا ابتعد منه، اعتنى بجهاز الرقابة الداخلي في نفسه، ولم يعبأ بجهاز الرقابة الخارجي، فجهاز الرقابة الداخلي هو مراقبة الله تعالى في كل لحظة من لحظات حياته، يستشعر أنه تحت نظر الله، وأنه مطلع عليه في كل عمل يقوم به، وكل خطرة قلب تخطر عليه، حتى قال بعض الأولياء، وقفت على باب قلبي ثلاثين سنة، فما كان موافقاً للشرع أدخلته، وما كان غير ذلك طردته، وهذا كان حال كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، فقد جاء عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لشاب من الأنصار: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحتُ مؤمناً بالله حقا، قال: انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة، قال: يا رسول الله، عزفتُ نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني بعرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها، قال: أبصرت فالزم عبد نور الله الإيمان في قلبه [1].

(1) المعجم الكبير 366/3.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وعن أنس أيضاً أن معاذ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ فقال له: كيف أصبحت يا معاذ؟ قال أصبحت بالله مؤمناً حقا قال: إن لكل قول مصداقا، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟ قال: يا نبي الله ما أصبحت صباحاً قطّ إلا ظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أنى لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية، كل أمة تدعى إلى كتابها، معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار، وثواب أهل الجنة قال عرفت فالزم[2].

وعن عطاء الأزرق قال: قلت للحسن: كيف أصبحت يا أبا سعيد؟ كيف حالك؟ قال: بأشد حال، ما حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت لا يدري ما يفعل الله به؟ [3].

قال الترمذي الحكيم: صفة السابقين المقربين؛ إنه إذا أسر العمل خلا بربه في العمل، فبرز له وجوده على القلب في الصدر، والأول المقتصد أسر العمل فخلا بطاعته وعبودته لا بربه، فبرز له توحيده على قلبه في صدره.

فالمقتصد يتولى تربية عمله التوحيد، والسابق يتولى تربية عمله ربُّهُ الجوادُ الكريم، فإذا أسر السابق الذي هذه صفته عملاً من أعماله فإنما يسره ليخلو بربه فيجده في العمل، وذلك قول عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله أقرب منه، وقول محمد بن واسع: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله فيه، فقد تباين قولاهما مع رفعة قوليهما، وجلالة

(2) الضعفاء للعقيلي 291/2.
(3) كتاب الزهد الكبير 221/2.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حظيهما في القولين، فإذا وجده السابق في العمل عمل على مشاهدة القلب، فعظّمه وحسّنه وبالغ فيه، ثم جعله من وراء ظهره، فلم يلتفت إليه لأنه إنما يسره من أجل شيئين:

أحدهما: أنه يريد أي يطفئ نار شوقه إلى ربه بوجوده في العمل، لأنه إذا وجده فأول ما يلاقي قلبَه بردُ الرحمة وقرةُ العين، فإذا قرت عينُه وناله بردُ الرحمة انطفأت نار الشوق وسكنت، فهذا وجه.

ووجه آخر؛ أن عين قلبه مادةٌ إلى جلاله وعظمته، يسأل بذلك نزاهة اليقين فيزداد حياة بالله، ولم يسره، يريد بذلك تصفيته مما يخالَط من فتنة النفس، لأن نفس هذا قد ماتت، وافتقدت وساوسها، قال له قائل: هذا لِمَ لمْ يُعلن العمل حتى يقتدي به الخلق؟ قال: صاحب هذا قد لها عن الثواب، ووله بالماجد الكريم.

ومن وجه آخر يسره، يريد بذلك أن يغيبه عن أعين الخلق، فإنهم إذا رأوا صلاة وصوما وصدقة، رأوا زينة وبهاء وزهداً ونزاهة وسخاء، فأكرموه وعظموا منزلته، فإنما يسر أعماله لئلا يكتسب بها من الخلق هذه المنزلة غيرةً لربه، وإذا أسرها من هذا الوجه كان ممن يباهي الله به ملائكته وقال: هذا عبدي حقاً، ولم يكن الله ليباهي به ويثني عليه ثم لا يفيده شيئاً وأول ما يفيده أن يُنشر ثناؤه الذي أثنى به عليه في ملائكته على قلوب أهل الأرض، حتى ينظروا إليه بتلك العين، وتتناسم الأرواح برؤيته، وتتباشر القلوب بلقائه، وتلتذ العيون إليه، قال عيسى عليه السلام: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن شفتيه، وإذا تصدق فليخف يمينه عن شماله،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وإذا صلى فليسدل على بابه ستره، فإن الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق، فهذه وجوه إسراره للعمل [1].

ومن التوجيهات النبوية في تقوية جهاز الرقابة الداخلي أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلاً فقال له: استحي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك [2].

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كشف العورة فقال: الله أحق أن يستحيا منه [1].

فقوله صلى الله عليه وسلم في حديث سيدنا عمر: اعبد الله كأنك تراه هو ما أوردناه من بعض أحوال الصحابة كسيدنا معاذ وسيدنا حارثة وغيرهما، وأما قوله فإن لم تكن تراه000 أي إن لم تستطع رؤية الله في عبادة فلا تعدم حظك من مراقبته، وهو دوام التحقق بالبصيرة إلى قرب الله منك، واطلاعه عليك، ومعيته لك، فليخش الله وليستحي منه، كما قال بعض العارفين: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك.

وهذه المقامات لا يحققها إلا من وصل إليها، والفرق بينهما دقيق، فمن عمل لله على نعت المشاهدة فهو عارف مخلَص، ومن عمل على نعت مشاهدة الله إياه فهو مخلِص، وفرق بين المخلِص (بكسر اللام) والمخلَص بفتحها، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم حظهم الأوفر من المقام الثاني، فهم المخلَصون، الذين لهم مقام مشاهدة الله تعالى ببصائرهم، والغيب عندنا عيان عندهم، فقوله تعالى: مثلاً ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ **(البقرة: من الآية186)** هو تحقيق عند الأنبياء، فيشهدون هذا

(1) نوادر الأصول الأصل (265).
(2) الكامل لابن عدي 136/2.
(1) رواه البخاري 107/1 باب الغسل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القرب، وما هي حقيقته، أما عندنا نحن عامة المؤمنين فنؤمن به إيماناً فقط ولا نشهد من ذلك شيئاً، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ **(الحديد: من الآية4)** فنؤمن بهذه المعية إيماناً، أما الأنبياء فيشهدون ذلك شهودا، ومن شهد معية الله وقربه منه كيف يصح في العقل أو الشرع عصيانه لربه؟!!

وقد ورد لنا بالآثار الصحيحة الندب لاستحضار هذه المعية لله وهذا القرب منه، حيث إنه إذا عدمنا حظنا من مقامات النبوة، فلا نعدم حظنا من مقامات الصالحين من المؤمنين، وكما قيل: إن لم تستطع الوضوء فتيمم، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عندما رفعوا أصواتهم بالذكر وهو قادمون من غزوة خيبر: إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعاً قريبا [2].

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه (أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه [3]).

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: إذا قام أحدكم يصلي فإن الله عز وجل ينصب وجهه لوجهه ما لم يلتفت [1].

بل إن الله تعالى أخبرنا بما هو أتم من هذا القرب فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ **(قّ:16)** وهو قرب لا يكيّف، وليس حلولاً ولا اتحاداً كما قد يُتوهم.

قال بكر المزني: مَن مثلك يا ابن آدم، خُلي بينك وبين المحراب وبين الماء، كلما شئت دخلت على الله عز وجل [2] ليس بينك وبينه ترجمان،

---

(2) رواه البخاري في صحيحه 1541/4.
(3) مصباح الزجاجة 127/4.
(1) رواه الحاكم في المستدرك 362/1، واحمد في المسند 130/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن وصل إلى استحضار هذا في حال ذكر الله وعبادته، أستأنس بالله واستوحش من خلقه ضرورة.

قال ثور بن يزيد: قرأت في بعض الكتب أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال: يا معشر الحواريين كلّموا الله عز وجل كثيرا، وكلموا الناس قليلا قالوا: كيف نكلم الله كثيرا؟ قال: اخلوا بمناجاته، اخلوا بدعائه [3].

وعن رباح قال: كان رجل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أقعد من رجليه، فكان يصلي جالساً كل ليلة ألف ركعة، فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ويقول: عجبت للخليقة كيف أنست بسواك!! بل عجبتُ للخليقة كيف أستأنست قلوبها بذكر سواك [4].

وقال **أبو أسامة:** دخلت على محمد بن واسع فرأيته كأنه ينقبض فقلت: كأنك تكره أن تؤتى، قال: أجل، فقلت: أو ما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني[5]؟!

وقيل لمالك بن مغفل وهو جالس في بيته وحده: ألا تستوحش؟ قال: أوَ يستوحش مع الله أحد؟!

وكان حبيب أبو محمد يخلو في بيته ويقول: من لم تقر عينه بك فلا قرت عينه، ومن لم يأنس بك فلا أنس.

وقال غزوان: إنى أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي.

وقال مسلم بن يسار: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل.

---

(2) أي المسجد.
(3) حلية الأولياء 448/1.
(4) انظر فيض القدير 147/4، صفة الصفوة 432/4 حلية الأولياء 195/6
(5) جامع العلوم والحِكم ص 37.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال مسلم بن عابد: لولا الجماعة ما خرجت من بابي أبدا حتى أموت، وقال: ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحسب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إليه، ثم غشي عليه.

وعن إبراهيم بن أدهم قال: أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك وتستأنس إليه بقلبك وجميع جوارحك، حتى لا ترجوا إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليها شيئا، فإذا كنت كذلك لم تُنَل في بَر كنت أو في بحر، أو في سهل أو في جبل، وكان شوقك إلى لقاء الحبيب شوقَ الظمآن إلى الماء البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عندك أحلى من العسل، وأحلى من الماء العذب إلى العطشان في اليوم الصائف.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله جليسَه.

وقال أبو سليمان: لا آنسني الله إلا به أبدا.

وقال معروف لرجل: توكل على الله حتى يكون جليسَك وأنيسَك وموضع شكواك.

وقال ذو النون: من علامات المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه، ثم قال: إذا سكن القلبَ حبُّ الله تعالى أَنِس بالله، لأن الله أجلُّ في صدور العارفين من أن يحبوا سواه [1].

(1) انظر هذه الأقوال في جامع العلوم والحكم ص 36.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذه بعض التفسيرات لبيان معنى الإحسان، وهي الملكة النفسانية التي عرّف بعضهم: أن العصمة ملكة نفسانية، يمنع الله بها أنبياءه من المعصية00فهذه الملكة جعلت الأنبياء صفوة الله من عباده، فاختارهم من بين خلقه ليهدي بهم الأمم، فمع الإيمان أنهم بشر، يجب الإيمان أيضاً أن الله تعالى جعلهم نسقاً معجزاً للبشر، فلا يدانيهم من البشر أحد في كمالاتهم البشرية، ولا يساميهم إنس ولا جن في سمو أخلاقهم الإنسانيه، ولا في معارفهم وعلومهم الربانية.

فمن كانت هذه صفته، ومن كان هذا نعته، أيجوز أن يغفل عن الله لحظة واحدة؟! ومن كان هذا حاله مع الله، يعيش على بساط الهيبة منه والمحبة له، وعرف من هو الله تعالى وما هي صفاته، وقدر عظمته وهيبته وجلاله، أيصح أن ينسب إليه غفلة عن سيده تعالى، فضلاً عن معصية؟!

ما أيّد الله به أنبياءه

لقد أيد الله تعالى أنبياءه بلطائفٍ من رحمته، وأولاهم من عنايته ركناً يأوون إليه، فتكون هذه اللطائف عوناً لهم في الاستقامة على الوجه الذي أراده الله منهم، وبها تميزوا على غيرهم من الدعاة ومنقذي الأمم ومعلميهم، فمن هذه اللطائف:

أولاً: الفضيلة النوعية.

وهي بمعنى النخبة من النوع الإنساني، ولبيان ذلك أضرب على ذلك مثالاً: إن الملوك إذا أرادوا إرسال معلمين لرعيتهم، مبلغين عنهم يرغبوا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشعب بطاعة الملك، ويحسنوا سيرته في أذهانهم لا بدّ وأن يكون هؤلاء المعلمون نخبة من المعلمين الذين أهلهم الملك لهذه الغاية، على قدرٍ عالٍ من الشرف والحسب، قد ابتلاهم الملك بأنواع الاختبارات، حتى صفاهم من كل شائبة، حتى شهد لهم الملك بذلك، ووافقته عقول الرعية على أن مثل هؤلاء على قدم راسخ في الأهلية لأن يكونوا نواباً عن الملك في الإبلاغ والتعليم، والتأدية عنه، فالله تعالى لا يرسل ولا يختار لرسالته إلا المتقدم على الرعية المبعوث إليهم، المزيّن بكل منقبة حسنة.

وهذا ما نراه في سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فلا يوجد نبي ملموز في خلقه، أو مختلط في عقله، أو دنيء في نسبه، بل على عكس ذلك تماماً، فالأنبياء أجمل الناس صورة، لا يوجد بينهم ذو عاهة في جسمه، وهم أشرف الناس حسباً في أقوامهم، وهم أرجح الناس عقلاً وأكثرهم حكمة، حازوا قصب السبق في كل ما من شأنه تأهيلهم القيام بقيادة الأمم.

ثانياً: الفضيلة الإكرامية.

ومعنى ذلك؛ هو تأييد المولى جلّ شأنه للرسل بأنواع اللطائف وشتى الكرامات وخوارق العادات، تقوي قلوبهم وتشحذ هممهم، وتكمل ما كان نقصاً عندهم، كما أيّد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بحل عقدة من لسانه، وإجابة دعوته، وإشراك هارون معه في الرسالة، وهي أمور زائدة على ما وهبه الله عامة خلقه، وذلك تيسير للخطب الذي أُهلوا له من هداية الأمم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثالثاً: الإمداد بالهداية.

وهي بمعنى الرسالة التي يحملها السفير الذي يرسله الملك نائباً عنه لبعض شؤون الملك، وهي في حق الأنبياء إمداد الله تعالى أنبياءه بمواد الإرشاد والهداية، لعلم الله تعالى أن العلوم المكتسبة لا تنال إلا بالتلقي والتعريف من معلم سبق وأن تعلّمها، فلذلك أيد الله تعالى أنبياءه بكتب سماوية معصومة من عنده، يثبت الله بها رسوله، ويهدي بها خلقه، ويجعلها حجة للدعاة من بعد الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ **(الفرقان: من الآية32).**

رابعاً: التثقيف عند الزلة.

ومعنى ذلك؛ أن الملك لا يترك دعاته دون رقابة منه، بل لا بد من النظر في سيرتهم خلال دعوتهم، وما مدى تطبيقهم للخطة المرسومة لهم من قبله، ومعلوم أن من طبيعة البشر الميل لبعضهم البعض، وخاصة من طول المجاورة، فإن الطبع سارق للطبع، فإذا ما رأى الملك بعض الميل من أحد دعاته إلى ما عليه رعيتهم ممن ليست على مراد الملك تحركت غيرة الملك على هذا الداعية، أن يركن ولو شيئاً قليلاً إلى هؤلاء النفر الذين على غير سيرة الملك ومحبته، فيزجره على ذلك أبلغ الزجر، وينبهه إلى ذلك أشد التنبيه، حتى لا يبقى متمادياً في هذا الطريق، ويوافق العوام من هذه الرعية، حتى يظن من لم يعرف سيرة الملك، أو سيرة هذا الداعية أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الداعية قد أتى بكبيرة وجرم بحق الملك، لشدة الزجر الذي أبداه الملك بحق هذا الداعية، وما ذلك إلا لغيرة الملك على هذا المعلم بأن تبقى سيرته عطرة، ليهتدي بهم مَن دونهم، ويقتدي بهم الأكابر من الرعية، ويتعلم الجاهل.

وهكذا سنة الله تعالى في أنبيائه ورسله الذين أهلهم لدعوة الخلق وعبادته تعالى، فإذا ما علم الله تعالى منهم شيئاً يسيراً من إرادة الركون إلى من لم يؤمن من أقوامهم بادر الله تعالى إلى تنبيههم إلى ذلك تنبيهاً شديداً، حتى يظن الجاهل أن النبي قد وقع في معصيةٍ بحق الإله تعالى، وراح يقلّب العالم الأمور بنظره يعرض هذا التنبيه على عقله القاصر ليجد له مسوغاً، فيخرج معتذراً بأن النبي قد يقع في الصغيرة لكنه لا يصر عليها، أو أنه يجوز الذنب عليه قبل النبوة، أو أن يقول: إن هذا الأمر ليس من التشريع، وإنما هو من السيرة الحياتية اليومية لهذا النبي، ولم يكلفنا الله تعالى بالاقتداء به في مثل هذه الأمور، أو أن هذا من أمور الدنيا لا علاقة بالوحي ولا بالأحكام.

وهكذا نرى من بعض الآيات القرآنية التي جاء فيها نسبة الذنب إلى بعض الأنبياء أو توهم ذلك، لكن لو دققنا النظر في سيرة الأنبياء قبل النبوة وبعدها لوجدنا أن هذا الأمر عادي ما فيه رائحة المعصية، ولم تشب هذا التصرف الذي تصرفه النبي شائبة المعصية، ولو أمعنا النظر في سنة الله في الخواص من عباده لوجدنا أن هذا الإجراء الذي اتخذه الله بحق هذا النبي إنما هو من غيرة الله على نبيه أن يركن شيئاً قليلا إلى المعرضين من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أقوامهم، وأن هذا التوجيه إنما هو تحذير من أمر محتمل الوقوع في المستقبل، من باب العلاج الوقائي والحجر الصحي قبل وقوع الداء المحتمل، مع العلم بأن المناعة ضده موجودة وهي العصمة والحماية الإلهية لهم.

انظر إن شئت قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً* إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ (الاسراء:74،75).

❁ وانظر قوله تعالى لسيدنا داود عليه الصلاة والسلام: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ **(ص: من الآية26)**.

❁وقوله تعالى لسيد الخلق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ **(الأحزاب: من الآية1)**.

❁ ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (لأنفال:68) ❁ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام:35).

❁ ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود:46) وغيرها من الآيات القرآنية الشاهدة على ما تكلمنا فيه من وسائل وأساليب تثقيف الله تعالى لأنبيائه وأصفيائه من خلقه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهذه اللطائف الأربعة التي أيد الله تعالى بها أنبياءه لا تنال باكتساب، لأنها موهبة إلهية وأثرة علوية، حِكَمها منوطة بتدبير الإله الحكيم الذي له الخلق والأمر، قد استأثر الله بعلمها لا يظهرها إلا في أخص الأزمنة وأحق الأمكنة، لا يظهرها إلا عند إحساس الحاجة الكلية، وإطباق الدهماء على الضلاّل من البرية ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً﴾ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:21) فالأنبياء أسوة الدعاة من بعدهم، والدعاة هم ورثة الأنبياء والرسل بتعليم الشعوب بعد رحيل الأنبياء، فهو تعليم للدعاة ومعلمي الأمم أن يتخلقوا بأساتذتهم وهم (الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) حتى لا يأتون بأمر يعيبه عليه مَن دونهم من الأمم مهما كان حقيراً، وليكن للعالِم من هذه الآيات التي جاءت معلمة للرسل في مثل هذه المواطن نبراساً وسراجاً يهتدون بنوره في ظلمة الحياة والظلم الذي قد يتعرضون إليه من جانب الشعوب الجاهلة الذين أرسلوا لتعليمهم.

هذا أحسن ما قد يقال في تأويل بعض الأمور التي تطرح وطرحت في هذا المجال، ولنعلم أن حياة الأنبياء إنما هي نمط مثالي لكل فرد من أفراد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الشعوب بكل جزئية من جزئياتها، وأن ليس في حياة الأنبياء ما هو أمر شخصي خاص بالنبي غير مطالبين بالاقتداء به في هذا الأمر مهما غاب عنا تفسيره، وإنما يجب على العالم والعاقل أن يدركوا أن حياة الأنبياء وتصرفاتهم إنما هي تشريع بكل دقائقها أخذاً من قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) والأسوة الحسنة تشمل الأفعال والأقوال والأحوال والأخلاق والأحكام والعقيدة وغيرها من دقائق حياة النبي مهما كانت، وأن من اقتدى بنبي في أي أمر من أمور حياة النبي فلن يضل أبداً، ولن يعيب الله تعالى على أحد من خلقه تخلق بخلق نبي، أو تصرف تصرفاً اقتداء بنبي، بل إن هذا التصرف إنما هو عين الصواب، لعلمنا أنا مأمورون بالاقتداء بهم، والاعتقاد بأن الله تعالى قد اختار لنا صفوته من خلقه، صنعهم على عينه، وغذاهم بنعمته، وجعلهم نسقاً إعجازياً للبشر في كل أمر حسن، فلا يصدر عنهم إلا كل أمر محبب إلى الله تعالى، وأن ما جاء من مثل هذه النصوص التي سنتكلم عنها إن شاء الله إنما هي تعليم للدعاة وحسب.

عصمة الأنبياء في نظر العلماء

بعد هذا العرض لمعنى العصمة الشرعي واللغوي، وقبل أن أعرض الأدلة العقلية والشرعية على العصمة لا بد من الوقوف على رأي العلماء في هذه المسألة، فقد تباينت آراؤهم في العصمة، فمنهم من قال بعصمتهم من الكفر، ومنهم من قال بعصمتهم من الوقوع في الكبائر، ومنهم من قال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بعصمتهم من الوقوع في الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها، وهذا الفريق هم أقرب إلى الحق وأرشد إلى الصواب، ولعلّي في هذا التصنيف المستقل أبلغ الغاية في الوصول إلى الحق الذي يرضي الله تعالى، ويكون شافعاً لي عند رسل الله حيث أكشف الرين الذي تراكم على هذه السير العطرة، الناتج عن شدة الغفلة التي سببتها الشهوات والملذات الحاجبة عن إدراك هذه المقامات العلية، والكمالات السنيّة، التي أولاها الله تعالى صفوته من عباده.

01 قال سعد الدين التفتازاني: وحقيقة العصمة أن لا يخلق الله تعالى في العبد الذنب مع بقاء قدرته واختياره، وهذا معنى قولهم: هي لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء، ولهذا قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى: العصمة لا تزيل المحنة، وبهذا يظهر فساد قول من قال: إنها في خاصية الشخص أو في بدنه؛ يمتنع بسببها صدور الذنب عنه، كيف ولو كان الذنب ممتنعاً لما صح تكليفه بترك الذنب ولما كان مثاباً عليه.

02 قال إمام الحرمين: وأما الذنوب المعدودة من الصغائر فلا تنفيها العقول، ولم يقم عندي دليل على نفيها ولا على إثباتها، إذ القواطع نصوص أو إجماع، ولا إجماع إذ العلماء مختلفون في تجويز الصغائر على الأنبياء، والنصوص التي تَثبُتُ أصولها قطعاً ولا يقبل فحواها التأويل غير موجودة، فإن قيل: إذا كانت المسألة مظنونة فما الأغلب على الظن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عندكم؟ قلنا: الأغلب على الظن عندنا جوازها، وقد شهدت أقاصيص الأنبياء في آي كتاب الله تعالى على ذلك، فالله أعلم بالصواب.

الأدلة العقلية على عصمة الرسل

الدليل الأول

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاءوا معلمين للبشر، وهداة للأمم، والمعلم أعلم من التلميذ قطعاً، لعلم المعلم وجهل الطالب، فإذا علم المعلم أن الطالب يحاكي شخصية أستاذه، وذلك معلوم بالفطرة تقليد الأصاغر للأكابر في كل أمر مهما كان، فيحاكي الطالب شخصية معلمه وطريقته في الكلام واللباس والقول والعمل والخلق وغير ذلك، فلا يأتي هذا المعلم من الأقوال والأفعال والأخلاق إلا ما تكون صورته مشرقة في ذهن الطالب حتى يتم الاقتداء به، فيشب الطالب على ما اقتبسه من أستاذه، فتكون عندها الثمرة المرجوة من تعليم الطلاب.

وهكذا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لما جاءوا معلمين للأمم، أنبأنا الله تعالى أنه تولى تعليمهم وتربيتهم، ولم يكل ذلك لأحد من خلقه، ولما علمنا أن الرسل مطيعين لله تعالى في كل ما يأمر، مجتنبين عما نهى عنه، علمنا أن كل حركة من حركاتهم إنما هي تعليم لنا لنقتدي بهم.

الدليل الثاني

لما علمنا حسن سيرة الأنبياء، وأن الثناء العطر عليهم قد لهجت به الألسنة، وأنهم لا يتصرفون إلا وفق منهج رباني معصوم (وما ينطق عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) علمنا أنهم ثقات وعدول بنص الكتب التي جاءوا بها من عند الله، فإذا كان كذلك قلنا: إن القاعدة تقول: إذا ثبتت عدالة المرء فليُترك وما يفعل، لأن العدل لا يأتي بما يخل بمروءته وعدالته، وعليه فإن الأفراد من غيرهم ولو لم يعلم بعلمهم فلا حرج عليه أن يحاكي شخصياتهم، لأن ما صدر عن الكمال فهو كامل، وما صدر عن الثقات فهو حق.

الدليل الثالث

إن المعلم والداعية إلى مبدأ معين لا بد له من أمور وثوابت ينطلق منها حتى يكون كلامه مؤثراً في السامعين، ومن هذه الثوابت التطبيق المنهجي والعملي لأصول دعوته ومبادئها، فلا بد وأن يكون مثالاً لغيره في شدة الالتزام بما يأمر به، والابتعاد عن كل ما ينهى عنه، وإلا لما صح لواحد من الناس الامتثال لما يأمر وينهى، ومعلوم حتى في الأوساط الشعبية عندنا، إننا نرى أياً كان يأمر واحداً بشيء وهو غير مطبق لما يقول، فأول ما يقال له: يا هذا ابدأ بنفسك وائتمر بما تقوله أولاً، ثم توجه لغيرك، وكما قال الشاعر:

يا أيها الرجلُ المعلّمُ غيره ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ

تصفُ الدواءَ لذي السقام وذي الضنى ... ومن الضنى وجواه أنت سقيمُ

وأراك تلقَحُ بالرشادِ عقولَنا ... نُصحاً وأنتَ من الرشادِ عَديم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهناك يُقبَلُ إن وعظتَ ويُقتدى بالقول منك وينفعُ التعليم

لا تنهَ عن خُلُق وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما جاءوا معلمين للناس، مبلغين عن رب العالمين، حريصين على إيصال دعوة الله لكل فرد من الشعوب التي أرسلوا إليها، وحرصهم على إسلام الناس أشد، لإنقاذهم من النار يوم القيامة، كانوا أشد الناس تطبيقاً لما يأمرون به، أشد الناس ابتعاداً عما ينهون عنه، ليكون الكلام أبلغ، ووقعه أشد تأثيراً في القلوب، فكان هذا مؤشراً على تأييدهم بالعصمة من الله ليكون عوناً لهم على تطبيق منهج الله خلال دعوتهم.

الدليل الرابع

وضع كسرى أنو شروان ابناً له عند المؤدب ليؤدبه ويعلمه، وهذه سيرة الملوك في تدريب أبنائهم على الملك، ليسوسوا الناس بعد موتهم، وكان ابن كسرى على قدر عالٍ من الذكاء، فقام المعلم يوماً بضرب هذا الابن بدون مبرر، وكان هذا الضرب سبباً في غضب الولد غضباً شديداً بحيث بقيت آثاره حتى سنٍ متأخر من حياته، فلما تسلّم المملكة بعد أبيه، كان أول عمل قام به أن استدعى المعلم الذي علّمه لينتقم منه لأنه أهانه وهو ابن الملك، فقال له: أتذكر يوم ضربتني وأنا طالب؟ قال المعلم: نعم، قال له كسرى: ما حملك على ضربي وأنا لم أكن أستحق العقوبة؟ فقال المعلم: أيها الملك، إني نوّعت لك أنواع التعليم ليكون ذلك أبلغ في إيصال

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العلم لك، قال كسرى: وأي علم تريد أن تعلمني بضربي بدون سبب؟ قال المعلم: لما علمت بأنك سترث أباك في المُلك، وأن من أسباب زوال الملك الظلم، والظلم أمر ذوقي لا يعلَّم بالكلام، فأذقتك طعم الظلم حتى لا تظلم، فأُعجب كسرى بالمعلم وعلم أن ضربه إنما هو لمصلحته حتى يدوم له الملك، فقال كلمته المشهورة: "زِه" أي أحسنت ورفع قدره.

وبناء على هذه القصة التي أوردتها كمثال أقول: إن المعلم الفذ ينوع أساليب التدريس ليكون أسهل في إيصال المعلومة لذهن الطالب، ومعلوم أن التكرار في الشيء يورث الملل، وأن كل جديد له تأثيره على الغير، لذلك قد يقوم المعلم بعرض بعض الأمور التي تثير الاهتمام عند الطالب فتكون حافزاً له على معرفة كنه هذه الأمور، وقد يتصرف المعلم تصرفاً لا يليق حسب عقل الطالب وفكره المحدود، فيقيس الأمور بعقله ويقلب الأمور، فإن توصل إلى سبب مقنع ليلتمس لأستاذه عذراً في هذا التصرف، وإلا لربما اتهم أستاذه بما يحلو له، فتارة يقول: إنه غير معصوم عن الخطأ، وتارة يقول: إن هذا الأمر لا يعدو أن يكون أمراً سهلاً لا بأس به، و...و...الخ والأمر في الحقيقة على خلاف ما توصل إليه الطالب في معرفة سر هذا التصرف، وكنه هذا الأمر؛ وبناء على ذلك قلنا: إن في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتنوع أساليبهم في الدعوة أموراً وتصرفات قاموا بها غابت عنا الحكمة منها، كقضية تأبير النخل المشهورة في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، والتي سنتكلم عليها إن شاء الله، وغيرها أيضاً كثير في سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلما غابت عنا الحكمة من هذا التصرف اتهمنا أنبياء الله تعالى بأن في حياتهم أشياء تخصهم لا داعي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لتقليدهم فيها، فقلنا بما لا يجوز القول به في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإذا ما ظهرت لنا الحكمة فيها قمنا بالاعتذار عما قلناه لجهلنا، فكان حالنا معهم كحال كسرى مع معلمه، مع أن الأولى بنا أن نسلّم الأمر لصاحبه، ونؤمن بأن هذا التصرف حق وإن غابت عنا الحكمة فيه، ولنتهم علمنا القاصر بعدم إدراك مراد النبي منه، لا أن نوجد مبررات لا قيمة لها، ونقيس تصرف هذا النبي بمقياسنا المحدود.

الأدلة الشرعية على عصمة الأنبياء

أولاً: من القرآن الكريم

- **قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:21). ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الممتحنة: من الآية4).**

قال الإمام القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: أسوة، الأسوة: القدوة، والأسوة: ما يُتأسى به، أي يتعزى به فيُقتدى به في جميع أفعاله، ويتعزى به في جميع أحواله، فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته، وقتل عمه حمزة، وجاع بطنه، ولم يُلف إلا صابراً محتسبا، وشاكراً راضيا، وعن أنس ابن مالك عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حجر، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين، خرجه أبو عيسى الترمذي وقال فيه: حديث غريب [1].

قال سعيد بن جبير:

المعنى لمن كان يرجو لقاء الله بإيمانه، ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأفعال، وقيل: أي لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم الآخر، وأسوة: اسم كان، واختلف في هذه الأسوة بالرسول عليه السلام، هل هي على الإيجاب أو على الاستحباب على قولين:

أحدهما: على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.

الثاني: على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب، ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين، وعلى الاستحباب في أمور الدنيا[1]

قال ابن كثير رحمه الله:

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، أي هلا

(1) انظر جامع الترمذي 585/4.
(1) الجامع لأحكام القرآن 155/14.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

اقتديتم به، وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا [1].

قال الثعالبي رحمه الله:

وقوله تعالى: قد كانت لكم أسوة: أي قدوة في إبراهيم الخليل والذين معه قيل: من آمن به من الناس، وقال الطبري وغيره: الذين معه هم الأنبياء المعاصرون له أو قريباً من عصره، قال: وهذا أرجح لأنه لم يُروَ أن لإبراهيم أتباعاً مؤمنين في وقت مكافحته نمرودا، وفي البخاري أنه قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجرا من بلد النمرود: ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك[2] وهذه الأسوة مقيدة في التبري من المشركين وإشراكهم، وهو مطرد في كل ملة، وفي نبينا عليه السلام أسوة حسنة على الإطلاق؛ في العقائد وفي أحكام الشرع كلها[3].

قال الألوسي رحمه الله:

واللهِ لقد كان لكم في رسول الله خصلة حسنة، من حقها أن تؤتى ويقتدى بها كالثبات في الحرب، ومقاساة الشدائد، ويجوز أن يراد بالأسوة: القدوة بمعنى المقتدي، على معنى هو صلى الله تعالى عليه وسلم في نفسه قدوة يحسن التأسي به، وهي (أي الآية) وإن سيقت للإقتداء به عليه الصلاة والسلام في أمر الحرب من الثبات ونحوه، فهي عامة في كل أفعاله

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 475/3.
(2) صحيح البخاري 1225/3.
(3) تفسير الثعالبي 291/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

صلى الله تعالى عليه وسلم، إذا لم يُعلم أنها من خصوصياته كنكاح ما فوق أربع نسوة.

أخرج إبن ماجة وابن أبي حاتم عن حفص بن عاصم قال: قلت لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: رأيتك في السفر لا تصلي قبل الصلاة ولا بعدها، فقال: يا ابن أخي صحبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا فلم أره يصلي قبل الصلاة ولا بعدها، ويقول الله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة[1].

وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن قتادة قال: همّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن ينهى عن الحبرة [2] فقال رجل: أليس قد رأيتَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها؟ قال عمر: بلى قال الرجل: ألم يقل الله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فترك ذلك عمر رضي الله تعالى عنه.

وأخرج الشيخان والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن ابن عمر أنه سئل عن رجل معتمر طاف بالبيت أيقع على امرأته قبل أن يطوف بين الصفا والمروة؟ فقال: قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين، وسعى بين الصفا والمروة، ثم قرأ: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا، لأنه عليه الصلاة والسلام أكمل الخلق على الإطلاق، وأحظى الناس بإشراق أنوار أخلاقه عليه؛ الذين يرجون الله تعالى واليوم الآخر،

---

(1) لم أجده عند أبي داود في ما لدي من النسخ، لكنه عند أبي عوانة 337/2.

(2) الحِبَرة: ثوب يلبسه الرجال، فيه خطوط في طوله ذات ألوان، وهمّ سيدنا عمر أن ينهى الصحابة عن لبسها لظنه أنها مخالفة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويذكرونه عز وجل كثيرا لصقالة قلوبهم، وقوة استعدادها لإشراق الأنوار وظهور الآثار.

ما ترشد إليه الآيات:

01 إن التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون في كل أحواله، في العقائد والأحكام، في العبادات والمعاملات والأخلاق، وكافة التصرفات لا يستثنى منه شيء [3].

02 قول بعض العلماء: أن ذلك التأسي واجب حتى يأتي الدليل على استحبابه، هو القول الراجح عندي، ودليل ذلك ما جاء في نهاية الآية الشريفة (واتقوا الله) ولا تقوى لنا إلا من باب التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، لقول الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ **(النساء:65)** فقد نفى الله تعالى الإيمان عن أي شخص لا يحكّم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كافة جزئيات حياته، ثم يكون هذا التأسي هو قرة عينه.

03 قوله تعالى حاكياً عن سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ **(الممتحنة: من الآية4)** لم يقتصر هذا التأسي بالنبي فقط، بل تجاوزه إلى الاقتداء بمن مع النبي من صالح المؤمنين، لأنهم عاينوا تصرفات هذا النبي فحملهم إيمانهم على الاقتداء به في كل شؤون حياته، فصار التأسي بهم عين الاقتداء بالنبي

---

(3) روح المعاني 11/27، 69/28.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

صلى الله عليه وسلم، وهذا مؤشر على وجوب الاقتداء بالنبي وبأصحاب النبي الذين ثبتت لنا عدالتهم كالخلفاء الراشدين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، فالاقتداء بهم طاعة لله تعالى، وبالتالي يعني أن النبي معصوم، وأن كل من اقتدى به فهو معصوم.

04 جاءت الآية في سورة الأحزاب، وقد كان السياق القرآني يعرض صورة الإيمان وصورة النفاق، فقال المنافقون: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا، وتجاوزوا التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى مخالفته، وقال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما، ومعنى الآية؛ أن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم هو عين الإيمان بالله تعالى، بل إن الاقتداء بكل جزئية من حياة النبي تزيد في إيمان المؤمن، وهذا دليل على عصمته، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولو كان بعض تصرفات النبي غير معصومة لما زاد الإيمان في قلوب المقتدين به.

05 نستفيد من فعل سيدنا عمر عندما سمع الصحابي يقول له: أليس قد رأيتَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها؟ قال عمر: بلى قال الرجل: ألم يقل الله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فترك ذلك عمر رضي الله تعالى عنه [1] ومن فعل سيدنا عبد الله بن عمر، حينما قال له الصحابي: رأيتك في السفر لا تصلي قبل الصلاة ولا بعدها، فقال: يا ابن أخي صحبت رسول الله صلى الله تعالى عليه

(1) مصنف الحافظ عبد الرزاق 382/1، رقم 1493.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسلم كذا وكذا فلم أره يصلي قبل الصلاة ولا بعدها، ويقول الله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة، أن هذه الآية هي من أقوى الأدلة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم عند الصحابة أنفسهم.

♦ **قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: من الآية7).**

قال ابن جريج: ما آتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه، وقيل إنه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لا يأمر إلا بصلاح ولا ينهى إلا عن فساد.

قلت: هذا هو معنى القول الذي قبله فهي ثلاثة أقوال السابعة: قال المهدوي: قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى، والآية وإن كانت في الغنائم فجميع أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه دخل فيها، وقال الحكم بن عمير وكانت له صحبة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه، يسير على من اتبعه وطلبه، وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم، فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القرآن، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة، وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتكتنفوا أمري وتتبعوا سنتي، فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن، ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن، قال الله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثامنة: قال عبد الرحمن بن زيد: لقي ابن مسعود رجلاً محرماً وعليه ثيابه فقال له: إنزع عنك هذا فقال الرجل: أتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله تعالى؟ قال: نعم، (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال عبدالله بن محمد بن هارون الفريابي: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: فقلت له: ما تقول أصلحك الله في المحرم يقتل الزنبور؟ قال: فقال: بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر بقتل الزنبور، قال علماؤنا: وهذا جواب في نهاية الحسن أفتى بجواز قتل الزنبور في الإحرام وبين أنه يقتدى فيه بعمر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء به، وأن الله سبحانه أمر بقبول ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم، فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة، وقد مضى هذا المعنى من قول عكرمة حين سئل عن أمهات الأولاد فقال: هن أحرار في سورة النساء عند قوله تعالى: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا؟ قالت: بلى قال: فإنه قد نهى عنه، الحديث وقد مضى القول فيه في النساء مستوفى.

التاسعة: قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) وإن جاء بلفظ الإيتاء وهو المناولة فإن معناه الأمر بدليل قوله تعالى (وما نهاكم عنه فانتهوا) فقابله بالنهي، ولا يقابل النهي إلا بالأمر، والدليل على فهم ذلك ما ذكرناه قبل مع قوله عليه الصلاة والسلام [1].

قال ابن كثير:

عن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة، أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بل شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال: فما وجدت: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا؟ قالت: بلى قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة قالت: فلعله في بعض أهلك؟ قال: فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت: ما رأيت

(1) انظر تفسير القرطبي المسمى: الجامع لأحكام القرآن 18/18.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بأسا فقال لها: أما حفظت وصية العبد الصالح: وما أريد أن أخالفكم إلى أن ما أنهاكم عنه؟

قال الشوكاني:

وقال أبن جريج: ما آتاكم من طاعتي فافعلوا، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه، والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر أو نهي أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصاً فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا، وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها ! ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم به الرسول وترك ما نهاهم عنه أمرهم بتقواه وخوّفهم شدة عقوبته فقال: واتقوا الله إن الله شديد العقاب، فهو معاقب من لم يأخذ ما آتاه الرسول، ولم يترك ما نهاه عنه.

وهذه آيات من كتاب الله تعالى بنفس المعنى، وأقوال المفسرين فيها كقولهم فيما سبق من الآيات:

- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **(آل عمران:31)**.

أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بإبلاغ أمته بأن علامة حب الله اتباع رسوله، وكما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقية هو عبادة، ومحبة لله ورسوله، فإذا علمنا ذلك قلنا: إن هذه الآية دليل على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن المتبوع قدوة لمن اقتدى به، والمحب مقتبس من محبوبه ما شاء من الأقوال والأفعال والأخلاق، وبما أن الاتباع علامة محبة الله تعالى، لذا كان كل ما صدر عن النبي محبب إلى الله تعالى.

- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ **(الأنعام: من الآية90)**.

(أولئك) هم الأنبياء والرسل الذين تقدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجود، وهم الذين هدى الله، فبهداهم اقتده، واجعل سيرهم في معاملتهم مع الله تعالى ومع الخلق نصب عينيك، فلا تحد عنها.

فإذا كان هذا أمر من الله تعالى لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم باتباع الرسل، كان دليلاً على عصمتهم من كل ما هو مكروه عند الله تعالى، لأن الأمر للنبي عليه الصلاة والسلام هو في الحقيقة أمر لأمته، ولا يأمر الله تعالى إلا بما هو محبب إليه، ولو كان في سيرهم عليهم الصلاة والسلام شائبة المعصية لما أمر الله باتباعهم ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ **(الأعراف: من الآية28)**.

- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم:4) أي كل ما يتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم هو حق، ووحي من عند الله تعالى، وأنواع الوحي متعددة منها:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

01 وحي التشريع، وهو الذي ينزل به الأمين جبريل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغالبه يكون قرآنا.

02 وحي الإلهام، فيلقي إليه ملك الإلهام ما شاء الله له أن يبلغه من أمور الدين.

03 وحي المنام، فرؤيا الأنبياء حق لا يدخلها شيطان، ومصدرها الملك الموكل بالرؤيا.

04 النفث في الروع، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الأمين جبريل نفث في روعي أنه لن تموت نفس إلا بعد أن تستكمل رزقها وأجلها.

05 التكليم، فيكلم الله تعالى نبيه ما شاء، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ **(الشورى:51)**.

وغيرها من أنواع الوحي كل ذلك من عند الله تعالى، فلا يخرج من فم النبي صلى الله عليه وسلم إلا حق، وهذا دليل عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤيد ذلك قوله تعالى:

- ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۞لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:44 ـ47)، وهذا دليل على تزكية لسان النبي، أما فعله فقد ثبت أن النبي لا يخالف قولُه فعله بدليل الآية الشريفة على لسان سيدنا شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود: من الآية88) وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 44) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: 3،4) فهذه الآيات وما في معناها كلها مصرحة بعصمة القول والفعل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- قوله تعالى حاكياً عن أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ **(البقرة: من الآية124)** والإمامة نوعان:

إمامة كبرى، وهي التي يكون فيها الإمام خليفة للمسلمين، وهو صاحب الحل والعقد، وصاحب السلطة التشريعية.

وإمامة صغرى: وهي الإمامة في الصلاة.

وفي هاتين الإمامتين يجب على كافة الرعية الذين دخلوا في عقدهما متابعة الإمام، فالإمامة الكبرى توجب الطاعة لكل مسلم لهذا الإمام، والخروج عن طاعته أو عصيان أمره يعتبر مفارقة للجماعة، وبهذا يكون قد أحل دمه، لقوله عليه الصلاة والسلام: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة، فعصيان أمر الإمام قرين الكفر، وعصيان مباشر لما أمرنا الله تعالى، لأن الإمام مبلغ عن الله، ومنفذ لما شرعه الله لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما الإمامة الصغرى وهي إمامة الصلاة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سجد فاسجدوا وإن صلى قائما فصلوا قياما[1] فمتابعة الإمام في الصلاة فرض، ومخالفة الإمام في جزئية من جزئيات الصلاة بدون عذر شرعي مبطل لها.

فالله تعالى خاطب خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿إني جاعلك للناس إماما﴾ فالمخالفة له عليه الصلاة والسلام هي رغوب عن ملته، وهذا دليل عصمته، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ **(البقرة: 130)**.

هذه آيات من كتاب الله تعالى دلت على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن طاعتهم هي عين طاعة الله والخروج عن أمرهم ونهيهم هو في الحقيقة خروج عن أوامر الله.

(1) رواه الإمام البخاري 149/1 ومسلم 308/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فصل
صور الذنوب التي نسبت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام

اتفق العلماء قاطبة على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكفر والكبائر، ولكن جوّز بعضهم عليهم الصغائر مستدلين بظاهر بعض الآيات القرآنية والتي لم يستطيعوا أن يجدوا لها تأويلاً كقوله تعالى عن أبينا آدم (وعصى آدم ربه فغوى)، فقول الله تعالى: وعصى آدم ربه، هو ذنب، ولكن آدم تاب منه فغفر الله له، من هنا قالوا بجواز وقوع الذنب الصغير منهم لكنهم لا يصرون عليه، وقد خالف ابن تيمية ومن مشى على سنته التجسيمية بحق الإله تعالى، والنصب بحق النبي وآله جمهور العلماء في هذه المسألة، فقد قال بوجوب ارتكاب الذنب من النبي لكنه يتوب منه، لأن من ذاق طعم المعصية ثم تاب منها أعلى مقاماً وأحسن حالاً ممن لم يقترف معصية في حياته، وبناء عليه فإن عصاة المؤمنين ومرتكبي الكبائر أرفع مقاماً وأحسن حالاً وأقرب إلى الله تعالى من الأنبياء والرسل على رأي ابن تيمية، وقد عرضت هذه المسألة في الرسالة الأولى من هذه السلسلة في قسم النبوات فليراجعها من شاء.

قلت: إن من نسب الذنب إلى نبي من الأنبياء فقد جهل مقامهم، وناقض نفسه بنسبة الذنب إليهم، وذلك لأنه قال بعدم عصمتهم من الصغائر وقوفاً عند قوله تعالى عن أبينا آدم عليه الصلاة والسلام (وَعَصَى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) مع أنه نسي نسبة الكبائر إلى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتي جاءت أيضاً بصريح العبارة في القرآن الكريم كقوله تعالى عن أبينا إبراهيم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ **(الأنعام:76)** وقوله عليه الصلاة والسلام عن الكوكب: هذا ربي هو كفر صريح حيث أقر بلسانه بعبودية غير الله تعالى، ومثلها قتل النفس عمداً من العبد الصالح، وخرق السفينة وتعريض ركابها للغرق هو أيضاً كبيرة، فإذا قلنا بظاهر الآيات الشريفة التي لمحنا من خلالها وقوع بعض الأنبياء بالمعصية وجب القول بعدم عصمتهم من الكفر والكبائر والصغائر، وعليه فإن من قال بعصمتهم من الكفر والكبائر وجوّز عليهم الصغائر قد ناقض نفسه بنص القرآن لأنه قال ببعض الآيات ولم يقل بغيرها مما جاء في معناها، فهو كمن آمن بعض الكتاب وكفر ببعض، لكن لو تأمل جيداً في هذه الآيات وقارنها بآيات أخرى تنص على عصمة الأنبياء لوجد لها تأويلاً إما من القرآن، أو من الحديث الشريف، أو من سيرة هذا النبي الذي نسب الذنب إليه، وعليه فيكون قد خرج من هذا الضيق الذي حشر نفسه به، فإذا ما وجد هذا التأويل قال بعصمتهم عليهم الصلاة والسلام.

ما نسب إلى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

جاء في حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن أشياء تحصل يوم القيامة، منها وقوع الناس في الكرب حتى يفزعوا إلى صفوة الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

من خلقه وهم الرسل، فيأتونهم ويطلبون منهم الشفاعة، وأخبر عن اعتذار الأنبياء عن الشفاعة للخلق عند الله تعالى، حيث أخبر الرسل بأشياء قاموا بها في الدينا، صورتها معصية، وأن صاحب المعصية لا يصح له الشفاعة عند الله تعالى، حتى يكون هو عليه الصلاة والسلام الذي يشفع للخلق، فقد روى غير واحد عن أبي هريرة قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهش منها نهشه ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، ثم قال: هل تدرون لِمَ ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس ويبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون قال: ويقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم عند ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت، أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ إلا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة فدعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وسلم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، إذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى موسى عليه السلام، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أُؤمر بقتلها، نفسي نفسي، إذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى عيسى عليه السلام، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمتَ الناس في المهد، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك، فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ قال: فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، فيفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، ثلاث مرات فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا نجاسة عليه من الباب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى [1].

بناء على هذا الحديث وبعض ما جاء في القرآن الكريم، نسب بعض العلماء إلى الأنبياء ذنوباً ومعاصي، استدلوا بظاهرها على عدم عصمة الأنبياء من الصغائر، وقد تكلمت عليها في ما مضى من فصول، والآن أفصل ما نسب لكل نبي ممن ورد ذكره في هذا الحديث.

ما نسب لأبينا آدم عليه الصلاة والسلام
وهو أكله من الشجرة
فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء

جاء النص القرآني الذي لا يحتمل التأويل أن الله تعالى نهى أبانا آدم عليه الصلاة والسلام عن الأكل من الشجرة، فمكث آدم فترة من الزمن في الجنة ثم أكل منها، فكانت هذه المعصية سبباً في خروجه من الجنة، فقال الله تعالى عنه (وعصى آدم ربَّه) ومن هنا قال بعض العلماء بجواز وقوع الصغيرة من النبي لعدم عصمته منها.

قلت: إن المتمعن بالسياق القرآني الذي ساق لنا قصة أبينا آدم عليه الصلاة والسلام لن يجد حقيقة المعصية منه صلى الله عليه وسلم، لأن

(1) رواه احمد في مسنده 435/2، والترمذي في سننه 622/4، والبيهقي في السنن الكبرى 378/6، ومسلم في صحيحه 185/1، والبخاري في صحيحه 1215/3 وغيرهم بسند صحيح.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حقيقة المعصية هي الخروج عن طاعة الآمر بمحض الإرادة والاختيار مع وجود مقومات التكليف وهي العقل والإرادة المسبقة على المعصية، فهل كانت أكلة آدم مع سبق الإصرار على المعصية، أم أنها كانت نسياناً أو اجتهاداً؟

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ **(البقرة:30)** وهذا الإنباء كان قبل خلق آدم بألفي عام، والخلافة ستكون على هذه الأرض التي نعيش عليها، وقد تم خلق آدم في الجنة لا على هذه الأرض، وقد اختلف العلماء في موضع هذه الجنة، فمنهم من قال أنها الجنة الحقيقية التي في السماوات، ومنهم من قال إنها على الأرض، ومنهم من قال إنها جنة برزخية، ولا يهمنا مكانها وإنما المهم أن إرادة الله تعالى توجهت لخلق كائن على هذه الأرض ليكون خليفته فيها، فتم خلق آدم في الجنة، وصدر الأمر الإلهي لآدم بأن يتخير من ثمار الجنة ما شاء، لكن الله تعالى حدد له نوع شجرة في هذه الجنة بأن لا يقربها، فإذا خرق هذا الأمر فقد عرض نفسه للخروج من هذه الجنة، لكن حتى ينفذ قضاء الله المسبق في آدم ألقى الله النسيان عليه بتحديد عين الشجرة، فاشتبهت عليه فأكل منها بعد أن نسي عينها، وتأول في أكله أن هذه الشجرة ليست المقصودة بالنهي فأكل منها وهو لا يظن أنها هي التي نهي عن الأكل منها، فلما نفذ قضاء الله تعالى فيه ناداه الله بما قصه علينا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حقيقة المعصية وصورتها

إن للمعصية صورة وحقيقة، فالصورة هي أن يقع المنهي عنه، أو مخالفة الأمر مجرداً عن كل قرينة، أي بغض النظر عن الأسباب والدوافع لوجود الفعل أو حدوث المنهي عنه.

وأما الحقيقة فهي وقوع المنهي عنه أو عدم فعل المطلوب قصداً مع سبق الإصرار على ذلك، والنية المبيتة في قلب المخالف لهذا الفعل مع وجود العقل والإرادة (أي أن يكون متذكراً للمخالفة عند اقتراف المنهي عنه مع عدم الإكراه).

ففي الحالة الأولى وقعت صورة المعصية سواء بفعل منهي عنه، أو مخالفة أمر، لكن إذا حفت هذه المعصية بالقرائن والدوافع لانتفت النية المسبقة للمعصية، كأن يكون مجتهداً في هذا الفعل فأخطأ الصواب، أو يكون ناسياً، أو يكون مكرهاً، ففي هذه الأحوال لا يؤاخذ القانون على مثل هذا الفعل لعدم وجود دوافع المعصية، مع أن صورة المعصية وقعت، وهذا ما كان من أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، فلما علم أبونا آدم بأنه وقع في المحظور بادر إلى الاعتذار والاستغفار، وهذا معروف في كل عصر أن من وقع في مثل هذه الأمور ثم قدم المخالف اعتذاراً لصاحب الأمر والنهي اعتبرت المخالفة في حيز العدم، وكأنها لم ترتكب.

أما في الصورة الثانية ففيها تكون المؤاخذة، لأن المخالف إنما عقد النية على فعلها في قلبه، وبالنية يؤاخذ الله تعالى، فعن عمر بن الخطاب قال:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه[1] وبالنية تتميز العادة من العبادة، والطاعة من المعصية، والكفر من الإيمان، ألا ترى إلى الملائكة عندما أمروا بالسجود لآدم كانوا مطيعين لله تعالى في سجودهم هذا، مع أنه لا يجوز السجود لغير الله؟؟ وأن إبليس لما امتنع عن السجود بدعوى محافظته على التوحيد كان كافراً، لأنه بيت الأمر مسبقاً بعدم امتثال الأمر؟؟ وهكذا في أي فعل يقع من أي شخص، لا بدّ من وجود النية المسبقة على المخالفة حتى تسمى معصية، فلذلك لما أقر آدم عليه الصلاة والسلام بوقوع صورة المعصية منه وهو الأكل من الشجرة، قدم اعتذاراً إلى الله تعالى وأقر بما كان منه، فما كان من الله تعالى إلا أن قبل هذا الاعتذار ومحا هذه المخالفة من صحيفته عليه الصلاة والسلام، فكان آدم فاتحاً لباب التوبة لولده من بعده، كما أن إبليس كان فاتحاً لباب التمرد على الله تعالى، فكل من زلت به القدم واقترف ذنباً فعليه أن يتمثل بأبيه آدم ويقدم اعتذاره إلى الله تعالى فوراً حتى يمحو الله تعالى ذنبه ويقبله كما قبل أباه من قبل، لذلك نجد السياق القرآني يفيد اعتذار الله تعالى عن عبده ومصطفاه آدم بأكله من الشجرة فقال ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ **(طه:115)** أي لم تكن مخالفة آدم قصداً منه للمخالفة، وإنما كان أكله من الشجرة ناسياً بنص القرآن الكريم، والناسي غير مؤاخذ، بعد أن علمنا أن نسيان الأنبياء من الله تعالى لا من الشيطان، لأن الشيطان لا سبيل له عليهم، وبذلك ينتفي القول بعصيان آدم لربه

(1) رواه البخاري 3/1، ومسلم 1515/3.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بأكله من الشجرة، وبناء عليه حكم من حكم بعدم عصمة الأنبياء من الصغائر

آدم لم يكن نبياً في الجنة

عندما أكل أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة التي نهي عن الأكل منها لم يكن وقتها نبيا، فقد كان في الجنة، ولم يكن ثمة خلق من بنيه بعد، ولم يوح إليه شيء، وإنما كان الوحي والنبوة عندما أهبط إلى الأرض وتحققت خلافته فيها، فهناك اجتباه الله بالرسالة والعصمة وكل مقومات النبوة، لذا من قال بعدم العصمة لآدم مستدلاً بظاهر الآية عليه الدليل على نبوة آدم في الجنة.

لله أن يفعل في خلقه ما شاء

إن الله تعالى هو الملك الذي يحكم ولا معقب لحكمه، وهو الذي يقضي بما شاء على خلقه، فحكم على بعض خلقه بنسبة المعصية إليهم مع عصمته لهم منها، ثم أخبرنا بهذه العصمة لصفوته من خلقه، ليعلمنا أنه لا يجوز التخلق بهذا الخلق الإلهي لأنه يعتبر منازعة لله تعالى في سلطانه، فقد قال تعالى عن بعض أنبيائه أنهم عصوا، وقال عن بعضهم (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات00) (يا أيها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النبي اتق الله00) (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ **(ص:26)** وما في معنى هذه الآيات، فهل يجوز لعبد مهما بلغت رتبته أن يقول لنبي: اتق الله ولا تتبع الهوى وغير هذه الألفاظ ثم يقول: إنما تخلقت بأخلاق الله تعالى؟؟ إن الذي يقول مثل هذا لنبي يطبع عليه بطابع النفاق فوراً، ودليل ذلك ما رواه غير واحد عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس في ثوب بلال يوم حنين يعطيهم فقال إنسان من الناس: اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم: ويلك إذا لم أعدل فمن يعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل، قال: فقال عمر رضوان الله عليه: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحاباً له يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم[1] لذا وبناء على هذا لا يجوز لعبد أن يصف الأنبياء بشيء مما وصفهم الله به، لأن أفعال الله تعالى لا تقاس بأفعال العبيد، وانظر الآيات القرآنية التي جاء فيها قسم الله ببعض مخلوقاته كقوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها00 والنجم إذا هوى00 والليل إذا يغشى...﴾ وغيرها من الآيات، فهل يجوز لنا أن نقسم بغير الله تعالى أو بغير صفاته؟؟ ثم نقول إن الله أقسم بها؟ لذلك قال جمهور المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآيات: لله تعالى أن يقسم بما شاء من

(1) رواه ابن حبان في صحيحه 148/11، سنن ابن ماجة 61/1 وغيرهما.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مخلوقاته، وبناء على هذا وما مر من حديث ذي الخويصرة أنه لا يجوز لنا أن نصف نبياً بمقارفة ذنب أو عدم عصمته منه استناداً لظواهر بعض الآيات القرآنية.

لا يجوز لبشر أن ينسب ذنباً إلى نبي

بناء على ما تقدم فإنه لا يجوز لأحد من البشر غير الأنبياء أن ينسب لنبي ذنباً أو معصية، كبيرة كانت أو صغيرة، محتجاً بما جاء في القرآن من آيات نسبت ذلك لهم عليهم الصلاة والسلام، أو مغتراً بما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة، ذلك لأن الله تعالى له مرتبة الألوهية والسيادة على خلقه، فلا يجوز لنا أن نتخلق بأخلاقه المقتضية للعظمة والكبرياء والعزة والجبروت، فقد ورد في الحديث القدسي (العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً قصمته [1]) والنبي عليه الصلاة والسلام له مرتبة النبوة والرسالة، فهو مكافئ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الرسالة والنبوة، والعرف يقضي بأنه لا بأس للنظير أن يقول في نظيره ما شاء، أما من كان دونهم في المرتبة فلا يجوز له الكلام بحقهم عليهم الصلاة والسلام، لأن الكلام من الأدنى بحق الأعلى يعتبر قدحاً بمقام عليّ، وهو ذنب قد يجر إلى الكفر، ألا ترى إلى اللغويين كيف سموا الأمر من الأدنى إلى الأعلى دعاء، فطلبك من الله هو أمر، لكن لما تعلق بجانب الإله احتشموا أن يسموه أمراً

(1) رواه الشهاب في مسنده 331/2.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بل سموه دعاء، وأنه إذا جاء اسم الله في جملة سمي لفظ الجلالة، وإذا كان في موقع المفعول يقال: منصوب على التعظيم، وما ذاك إلا إجلال له تعالى أن يعامل اسمه كما يعامل سائر الخلق، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما كانوا عباد الله حقاً وسفراءه إلى خلقه وعظمهم الله تعالى، وجب على الخلق تعظيمهم وإجلالهم اقتداء بالله تعالى الذي عظمهم، ولا يجوز لنا الاقتداء بالله في غير هذا الخلق بما يوهم نقصاً في جانبهم عليهم الصلاة والسلام، لأن ذلك قد يجر إلى الكفر.

الأمر الثاني: وهو قوله تعالى
فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء

قال الكلبي: إن إبليس أتى حواء في صورة رجل لما أثقلت في أول ما حملت فقال: ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، فقالت ذلك لآدم عليه السلام، فلم يزالا في همّ من ذلك، ثم عاد إليها فقال: هو من الله بمنزلة، فإن دعوت الله فولدتِ إنسانا أفتسمينه بي؟ قالت: نعم قال: فإني أدعو الله فأتاها وقد ولدت فقال: سميه باسمي فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث.

ونحو هذا مذكور من ضعيف الحديث في الترمذي وغيره وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات فلا يعول عليها له قلب، فإن آدم وحواء عليهما السلام وإن غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على أنه قد سطر وكتب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خدعهما مرتين؛ خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض، وعضد هذا بقراءة السلمي: أتشركون بالتاء، ومعنى صالحا يريد ولداً سويا، فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما أتاهما، واختلف العلماء في تأويل الشرك المضاف إلى آدم وحواء، **قال المفسرون:** كان شركاً في التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية، وقال أهل المعاني: إنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث [1].

قلت: إن هذه الأقوال التي أوردها بعض المفسرين لا تقوم به حجة على نسبة الشرك لأبينا آدم، وذلك لأنهم اعتمدوا فيها على الإسرائيليات وبعض الأحاديث الضعيفة، وهذا باطل من الأدلة، لأن مسائل العقيدة لا يؤخذ فيها بمثل هذه الأدلة، وإنما يكون بالمتواتر من النصوص لا غير، وحمل تفسير الآية على أبينا آدم لا دليل عليه، والدليل إذا داخله الاحتمال سقط به الاستدلال، والصواب في هذا أن الذي جعل لله شركاً فيما آتاهما هما الأبوان من ذرية آدم، أي أن كل من لقن ولده عقيدة غير عقيدة التوحيد واقع تحت مدلول هذه الآية ومنطوقها، لقوله عليه الصلاة والسلام (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء [2]).

خلاصة الأمر:

01 إن أبانا آدم عليه الصلاة والسلام لم يكن نبياً وقت أكله من الشجرة حيث كان في الجنة، ونبوته كانت على الأرض.

---

(1) تفسير القرطبي 338/7.
(2) صحيح مسلم 2047/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

02 لم يكن قصد آدم معصية الله تعالى وإنما كان أكله نسياناً لإنفاذ قدر الله تعالى فيه، حيث كان في الجنة، وإنما أراده الله تعالى في الأرض ليكون خليفته فيها.

03 أراد الله تعالى تعليمنا التوبة والاعتذار إليه إذا ما وقع أحدنا في زلة بجانبه تعالى، فكان أبونا آدم عليه الصلاة والسلام فاتحاً لهذا الباب، وكل من تاب من ذنب كان لأبينا آدم حظه من هذا الأجر لأنه أول من سن التوبة في الإسلام.

04 يجب العلم أن لله تعالى أن يصف بعض خلق بما يشاء وإن كان من أقرب المقربين إليه، فله أن يثيب العاصي ويعذب المطيع، ويسبغ لقباً رفيعاً على أحقر خلقه، ويصف أرفع عباده بالذنب والمعصية ويقسم بما شاء من خلقه ويحرم ذلك علينا، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ **(الانبياء:23)**.

05 وفي قصة تسمية ابن آدم (عبد الحرث) فهي من الأساطير التي لا يعول عليها، وليس لها إسناد يعتمد، فهي قصة مختلقة من وضع القصّاص نقلاً عن بعض الخرافات القديمة.

ما نسب إلى سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام
وهو دعاؤه على قومه، وسؤاله عن سبب إهلاك ولده

وسيدنا نوح هو الأب الثاني للبشر بعد آدم عليهما الصلاة والسلام، فقد نسب إليه أنه أساء الأدب مع ربه عز وجل عندما سأله: لِمَ أهلك ابنه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بالغرق، مع أنه وعده بعدم إغراق أحداً من أهله، والأمر الثاني دعاؤه على قومه بالهلاك، فكان سبباً في إغراق أمة من البشر، وقد عدّه جماعة نقصاً، وكان الأجدر أن يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، كما فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

الأمر الأول: وخلاصة القصة كما أوردها القرآن الكريم في سورة هود من الآية 37 ـ 47 ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ* فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ* حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ* وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ* وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ* وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وخلاصة القصة: أن الله تعالى بعث سيدنا نوحاً إلى البشر بعد سيدنا إدريس عليهما الصلاة والسلام، فمكث نوح يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ألف سنة إلا خمسين عاما، وهم عاكفون على عبادة الأصنام، ولم يؤمن من قومه إلا أفراداً لم يتجاوزوا التسعين شخصاً، وبقي على هذا الحال معهم حتى أخبره الله تعالى بأنه يريد إهلاكهم بالغرق، فأمره ببناء السفينة، وأن يحمل فيها أهله والمؤمنين من قومه، ومن الدواب زوجين من كل جنس حتى لا تنقرض بالغرق، ففعل نوح كل ذلك، ولما بدأ العذاب وتم إهلاك قوم نوح ومن جملتهم ابنه كنعان، نادى نوح ربه بقوله: يا رب إنك وعدتني ألا تهلك أحداً من أهلي، وقد أهلكت ولدي كنعان، وإن ابن الرجل من أهله، فأراد الله تعالى تعليمه فقال: إن النسب الذي أريده هو نسبي لا نسبك يا نوح، وإن نسبي كل مؤمن تقي، أي انتسب إلى الله تعالى بالإيمان به وعبادته، لا كما تظن ويظن غيرك أن النسب الذي أعتمده هو نسب الطين؛ فلان بن فلان، فكان هذا تعليماً من الله تعالى لنا عن طريق سيدنا نوح أن النسب الذي ينبغي أن يقدم في التعامل هو نسب الله تعالى، وهو الحب في الله والبغض في الله، وأن يكون التعامل في هذه الدنيا من أجل الله تعالى لا من أجل غيره، لذلك جاء في الحديث الشريف: سلمان منا آل البيت[1] لذلك قال الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه:

يا نِسْبةً أدخَلَتْ سلمان في النّسَبِ ... بقول طه رسولِ الله خيرِ نبي

سلمانُ منا بآل البيتِ ألحقَه ... مع أنه فارسيٌّ ليس بالعربي

(1) رواه الحاكم في المستدرك 691/3.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهذا مراد الله تعالى بقوله (وأهلك إلا من سبق عليه القول) فأراد سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام معرفة مراد الله تعالى بهذه الأهلية وهذا النسب، ولم يكن سؤاله اعتراضاً على الله تعالى، فليس في هذا الأمر ما يعد نقصاً بجانب سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام.

الأمر الثاني: وهو دعاء سيدنا نوح على قومه، فأهلكهم الله بدعائه، وكان الأجدر به ألا يدعو، كونه من أولي العزم من الرسل، **والأمر** ليس كما ظنه البعض، فإن نوحاً عليه الصلاة والسلام بقي يدعو قومه (950) سنة ولم تكل له عزيمة، ولم يتطرق إلى همته يأس، حتى كتبه الله من أولي العزم من الرسل، وبقي على هذا الحال حتى أوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن أحد من قومك بعد اليوم إلا من كان آمن من قبل وذلك بقوله تعالى (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (هود:36) فلما آيس منهم سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام بعد إخبار الله تعالى له بذلك دعا عليهم بالهلاك، وكان دعاؤه لأسباب منها:

الأول: غيرة منه على جانب الربوبية أن يعصى من قبل قومه، ودوام قومه على الشرك بالله تعالى.

الثاني: إصرار قومه على المعصية شيء يؤسفه عند ربه، فإن الرسول يحب أن يتبعه الناس فيما يأمره به ربه من عبادة الله تعالى وتوحيده، من أجل مصلحتهم وبما ينفعهم عند الله تعالى يوم القيامة، لذلك جاء في الخبر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضون أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال فكبرنا (أي فرحاً بهذه البشارة) ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال: فكبرنا ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة[1].

الثالث: رحمته عليه الصلاة والسلام بمن في أرحام الآباء الكفار الذين سيولدون في المستقبل، فإن قوله تعالى: (إنه لن يؤمن) يفيد ما استقبل من الزمان، فدعاؤه عليهم بالهلاك رحمة بالأولاد المستودعين في أصلاب الآباء، فقد علم الله **أن** الولد الذي سيولد مستقبلاً سيحمله أبواه على الكفر بالله عز وجل، فقد جاء في الأثر: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ [1] لذلك حتى لا يقع الأبناء المستودعون في أصلاب الآباء في الكفر مستقبلاً فيكونوا من أهل النار، دعا سيدنا نوح على الآباء الكفار بالهلاك حتى لا يعذب الأبناء مستقبلاً، وهذه عين الرحمة من سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام بمن سيولد مستقبلاً.

الرابع: إن الكافر يعذب بكفره، فكل ما زاد في الكفر زاده الله عذابا، لذلك كان إهلاك الكفرة رحمة بهم في طي نقمة، حتى لا يضاعف لهم العذاب أضعافاً مضاعفة، قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ **(آل عمران:178)**. لذلك حتى لا يضاعف لهم

---

(1) صحيح مسلم 200/1.

(1) رواه البخاري في صحيحه 456/1 ومسلم 2047/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العذاب زيادة على ما كانوا عليه طلب سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام إهلاكهم رحمة بهم.

ما نسب إلى أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهي الكذبات الثلاث واغفر لي خطيئتي يوم الدين

وهذه الكذبات جاء بعضها في القرآن الكريم منها قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ **(الصافات:89)** وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ **(الانبياء:63)** والثالثة: قوله عن زوجه سارة أنها أخته، مع العلم أنها زوجه، وجاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن إبراهيم عليه السلام لم يكذب إلا ثلاث كذبات؛ ثنتين في ذات الله وهي قوله: بل فعله كبيرهم هذا وقوله: إني سقيم قال: وبينا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلاً، فأتى الجبار رجلٌ فقال: إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس، فأرسل إليه فجاء فقال: ما هذه المرأة منك؟ قال: أختي قال: فاذهب فأرسل بها إليّ، فانطلق إلى سارة فقال: إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله، وأنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي، فلما أن دخلت عليه فرآها أهوى إليها فتناولها، فأخذ أخذاً شديداً

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فقال ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له فأُرسل، فأهوى إليها فتناولها فأُخذ بمثلها أو أشد، ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأوليتين، فقال: ادعي الله فلا أضرك فدعت له فأرسل، ثم دعا أدنى حجّابه فقال: إنك لم تأت بإنسان ولكنك أتيتني بشيطان، أخرجها وأعطها هاجر، فأخرجت وأعطيت هاجر، فأقبلت فلما أحسّ إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته وقال: مهيم؟ [1] قالت: كفى الله كيد الكافر الفاجر وأخدمني هاجر، قال محمد بن سيرين: فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال: تلك أمكم يا بني ماء السماء[2].

الأولى: عندما أراد أن يقيم الحجة على قومه بعبادتهم غير الله تعالى، ونجح في ذلك لكنهم أصروا على الكفر، وعلم أن البراهين الناصعة والحجج الدامغة التي دمغ باطلهم بها لم تنفع معهم، عمد إلى شيء آخر يجاهد به الكفار، فلم ير إلا أن يوقع بأصنامهم فيحطمها، وقد كان لها خدم يحرسونها ويقومون على رعايتها، فأمهلهم حتى خرجوا إلى عيد لهم، ولم يبق عندها أحد، فصمم على اجتثاث الباطل المتمثل بهذه الأصنام، فقالوا له: أخرج معنا إلى عيدنا، فقال: إني سقيم، أي مريض، فتعلل بالمرض لينفذ مخططه، فلما خرجوا وخلت الأصنام من خدمها، عمد إلى الفأس وحطم بها الأصنام، وجعلهم رضماً من الحجارة المحطمة، ثم عمد إلى الصنم الكبير فيها، وعلق الفأس في عنقه، ثم ذهب إلى بيته، فلما عاد قوم نمرود ورأوا ما حلّ بآلهتهم، رفعوا تقريراً عاجلاً إلى الملك يفيد تحطيم

---

(1) أداة استفهام بمعنى: ما هذا؟ وكيف أنت؟.
(2) رواه البخاري في صحيحه 722/2.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

آلهتهم، فشكل الملك هيئة تحقيق على الفور لتحقق بهذه الفعلة الشنيعة بنظرهم، ولم جاء الشهود وأدلوا بشهادتهم قال قائلهم: سمعنا شاباً يهدد بتحطيمها، واسمه إبراهيم، فجيء به ليحققوا معه، فقالوا له: هل أنت فعلت هذا يا إبراهيم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: بل فعل ذلك كبيرهم هذا وأشار بإبهام يده اليمنى إلى الصنم الأكبر، حيث أن الإله لا يقبل الشركة معه من غيره، وهذا هو الإله الأكبر فيها، فغار على مقام ألوهيته، فانتقم من هذه الآلهة الصغيرة كيف أشركتموها معه في عبادته، فقال رئيس اللجنة: إن هذا الصنم لا يقدر أن يفعل مثل هذا الفعل، فقال إبراهيم: لماذا؟ فقال: لأنه لا يستطيع الحركة، فكيف يحطم غيره، وهنا جاء ما أراده سيدنا إبراهيم فقال: إذا كان هذا إلهاً لا يستطيع الإيقاع بغيره، وهذه الآلهة الصغيرة لا تستطيع الدفاع عن نفسها، فكيف تصلح للعبادة؟؟!! وكيف تعلّقون عليها آمالكم في جلب منافع ودفع مفاسد، هل من كان في مثل هذه المواصفات يستحق العبادة؟؟؟ فأقام الحجة عليهم من خلال ذلك.

فالكذبة الأولى: هي قوله: إني سقيم أي مريض، والمرض نوعان؛ مرض عضوي، ومرض نفسي، فالمرض الذي كان به عليه الصلاة والسلام ويقلقه هو: ما كان عليه قومه من الكفر حتى سبب له السآمة والملل من كفرهم، فقال ما قال، وهو صحيح، لأن الداعية إذا لم يجد مجالاً لنشر دعوته التي يريد، سبب له ذلك انشغالاً نفسياً قد يمنع عنه النوم والراحة النفسية، فتبدو آثار ذلك عليه حتى يعرف به ذلك كل من رآه، ومنه من وقع في الحب ولم يجد سبيلاً إلى محبوبه كما حصل لمجنون ليلى، وما به من ألم ولا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مرض عضوي، ما به إلا الحب وتباريحه، فلذلك لما أبى أهل مكة أن يؤمنوا بدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سبب له ذلك آثاراً نفسية انعكست عليه، حتى أصبح يرى أثرها في وجهه الشريف كل من رآه، حتى قال الله تعالى له في القرآن: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ **(فاطر: من الآية8)** وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ **(الكهف:6)** وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ **(الشعراء:3)** فكان من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إيمان قومه، وامتناعهم عن ذلك أن سبب له قلقاً نفسياً عليهم، لعلمه بما سيؤول أمرهم إليه من النار، وهو السقم الذي عناه أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو صحيح، وهو صادق في قوله،

لكن من نظر إلى أن المرض لا يكون إلا مرضاً عضوياً قال بأنها كذبة.

وأما الثانية: وهي قوله عليه الصلاة والسلام: بل فعله كبيرهم هذا، وأشار بإبهامه إلى الصنم، فقصد عليه الصلاة والسلام أن الذي حطم الأصنام هو إبهامه، وإنما كانت إشارته إلى الصنم إيهاماً لهم، فظنوا أنه يقصد الصنم، لأن اليد بدون إبهام لا قيمة لها، والإبهام هو الذي يحتل مركز الصدارة في العمل عند قبض اليد، فلو جرب أحدنا أن يمسك بمعول في يده فيسهل عليه ذلك بوجود الإبهام، أما بدون إبهام فلن يتسنى له ذلك مهما حاول، فكان الإبهام بهذا المعنى هو الذي كان أداة وسبباً في تحطيم الأصنام.

وأما من عدّها كذبة فقد نظر إلى أن أبانا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يقل أنا الذي حطمتها، وإنما ظن أنه يقصد الصنم الأكبر لا هو، وهذا أمر بعيد، فإن الكذب والإيمان لا يجتمعان في قلب مسلم، فكيف

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بنبي رسول؟؟ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ **(النحل:105)** فهل ننفي الإيمان عن أبينا إبراهيم وقوفاً مع تأويل من قال بأنه عليه الصلاة والسلام كذب، ونجعله ممن وصفهم الله تعالى في نهاية الآية؟؟

وأما الثالثة: فهي قوله عن زوجه سارة رضي الله عنها: هي أختي، مع أنها زوجه لا أخته، وهو صادق فيما قال عليه الصلاة والسلام، ألم تر ما قال الله تعالى لسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عندما سأله عن إهلاك ولده فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (هود:45) قال الله تعالى له: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود:46) فهي أخته في الله حقاً، حيث كانا مؤمنيْن في وقت انعدم فيه الإيمان، وهذه منقبة لهما فحق له عليه الصلاة والسلام أن يقول: هي أختي، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ **(الحجرات من الآية 10)** وهذا ما قصده سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد ظهر ذلك جلياً في قوله: إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله، وأنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك، أما أخوة الطين فلم يعتبرها عليه الصلاة والسلام اقتداء بالله تعالى، وتلك هي النسبة الحقيقية المقدمة عند الله تعالى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب[1] والمعاريض جمع معراض وهو التورية، والتورية هي: أن تقصد بلفظ خلاف ما يفيده ظاهره، وهي من أنواع المجاز، ومندوحة: فسحة، أي أن في التورية التي يأتي بها المتكلم فسحة لغوية لئلا يقع في الكذب، والتورية وإن كانت صورتها توهم الكذب إلا أنها ليست كذباً، وقد وقع في السنة المشرفة أشياء من هذا القبيل، فقد حصل في غزوة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحسس أخبار قريش هو وأبو بكر، فلقيا شيخاً من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال: وذاك بذاك؟ قال: نعم قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن من ماء، ثم انصرف عنه قال: يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ [2] فكان في جواب النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد 297/1.
(2) انظر تاريخ الطبري 27/2.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تورية، حيث أوهمه أنه من منطقة مشهورة بالماء، ولم يقل له أنه النبي قائد جيش المسلمين، حتى لا يستفيد العدو من هذه المعلومة، فلو أخبر النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي بالحقيقة على ظاهرها فقد يعرض المسلمين للخطر، أو يقع في الكذب المحذور، وكلاهما لا تحمد عقباه، لذلك استعمل النبي صلى الله عليه وسلم التورية في جوابه، فأبقى على الجيش سريته ولم يفش معلومات عسكرية، وكان أيضاً في هذا الجواب مندوحة عن الكذب.

ومعلوم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد غزو قوم من الأعراب استعمل التورية في الجهة التي يريدها حتى يبغت القوم ويفاجأهم، وهو في السنة النبوية كثير، وهذه التورية وهذا النوع من المجاز استعمله الخليل صلوات الله عليه وسلامه، وهذه الكذبات الثلاث التي نسبت إليه هي من هذا النوع، فهو لم يكذب ولم يستعمل الكذب، وإنما كان جوابه تورية لا غير، فإشارته بإبهامه قائلاً: بل فعله كبيرهم هذا، فظن القوم أنما قصد الصنم الأكبر، وإنما قصد عليه الصلاة والسلام بإشارته إبهامه لا غير، وقصد بقوله: إني سقيم؛ أنه فعلاً سقيم سقماً نفسياً من أثر عنادهم وكفرهم كما أسلفت، وإنما ظن القوم ظاهر اللفظ من المرض الجسمي، وقوله عن زوجه سارة: أنها أخته، هو صحيح حيث أنها أخته في الإسلام حيث لم يكن على دينه غيرها، والله تعالى يقول: إنما المؤمنون إخوة، فظن القوم أنما أراد ظاهر اللفظ أي أن أخته الشقيقة بالنسب.

هذا ما نستطيع القول به مما نسب إلى الخليل عليه الصلاة والسلام، واعتقادنا أنها ليست كذباً، وأن الأنبياء معصومون عن ذلك وأصغر منه، لأن الكذب والإيمان لا يجتمعان في قلب مؤمن لاستحالة اجتماع الضدين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أما قوله عليه الصلاة والسلام: واغفر لي خطيئتي يوم الدين: فهو بالنظر إلى كمال الله تعالى، وأن الخلق مهما عبدوه لن يوفوه حقه من العبادة، وأين عبادة العبد الضعيف العاجز بجانب الربوبية التي لها الكمالات المطلقة التي لا نهاية لها، فالاستغفار هو تواضع لله تعالى واعتراف بعجزه عن القيام بواجب الشكر لله على ما يستحقه من الثناء والتقديس، لا أن ذلك الاستغفار من ذنب، وهكذا قل مثل ذلك بحق جميع الأنبياء والملائكة، بل وفي حق الخلق أجمعهم، فإن الخلق كلهم مغمورون باللطف الإلهي، وانظر إلى ذلك العابد الذي عبد الله خمسمائة سنة لم يعصه فيها طرفة عين، وكيف أخبرنا المصطفى عليه الصلاة والسلام عن حساب الله تعالى له حيث يقول له: ادخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول ذلك العبد الجاهل بمقام الألوهية: بل بعملي، فيأمر الله الملائكة بأن يزنوا عمله كله بنعمة البصر، فترجح النعمة على هذه العبادة كلها، فيقول له تعالى: أوف شكر ما أوليناك من النعم، فيعترف العبد بالتقصير ويأمر به إلى النار، فيستغيث العبد: يا رب بل برحمتك000الحديث فهذا العبد لو كان على علم بما يستحق الله تعالى من الشكر لما طلب دخول الجنة بعمله، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس معرفة بالله تعالى وبما يجب له، لذلك رأوا تقصيرهم بجانب عظمة الله تعالى فاستغفروا استغفار إجلال له تعالى لا من ذنب كما هو حال عوام المؤمنين.

بقي شيء آخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام عن الكوكب: هذا ربي، وتأويل ذلك؛ أن الخليل عليه الصلاة والسلام أراد إقامة الحجة على قومه باستدراجهم إلى أن هذه الآلهة التي يعبدون لا تستحق العبادة، فقال:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إن كان في هذه الآلهة من يستحق العبادة فهو هذا الكوكب، فلما غاب قال: أنا لا احب إلهاً يغيب، لأن العبد يحتاج إلهه في كل وقت، وينبغي أن يكون الإله قريباً من عبده، لذلك أخبر الله تعالى عن نفسه أنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد، وهذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد، وهكذا بدأ الخليل باستدراجهم حتى طلعت الشمس فقال: إن كان في هذه الكواكب من يستتحق العبادة فهو هذا، لأنه أكبر ويمدنا بالحرارة، وقد تلاشى نور الكواكب بأسرها عندما طلعت، فلما غابت نادى على قومه بما قصه الله علينا، فتقدير كلامه: هذا ربي إن كان يستحق أن يعبد من دون الله، لذلك مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ **(الأنعام:83)** ولو كان في كلامه ما هو غير محبب إلى الله تعالى لم يمدحه، ولوجهه إلى الحق والصواب كما فعل بغيره من الأنبياء، لكن هذا لم يحدث دليل أنه ليس في كلامه شيء غير الحق، ومن نسب إليه غير ذلك فقد رد على الله تعالى كلامه.

ما نسب إلى سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام ولقد همّت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه

جاء في سورة يوسف أن امرأة العزيز راودت نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام عن نفسه، وقد ذكر المفسرون عنه عليه الصلاة والسلام ما لا يجوز أن ننسبه لعوام المؤمنين فضلاً عن كونه نبياً مرسلا، فمما نسبوه إليه: أنه كان جميل الصورة، وقد أوتي نصف الحسن، فافتتنت به امرأة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العزيز، فطلبت منه أن يمارس معها الفاحشة، فامتنع منها، لكنه مع الإصرار منها وافق، فحل سراويله وجلس منها مجلس الرجل من امرأته، فرأى البرهان وهو: أنه رأى أباه عاضاً على اصبعه...الخ ما نسبه إليه غالب المفسرين.

قلت: لا يجوز أن ننسب هذا الفعل لنبي مرسل قد زكاه الله تعالى في القرآن بأكثر من موضع، وعلمنا من سيرته ما لم يعد يخف على أحد، لكن الصواب في ذلك هو ما ساقته لنا الآيات القرآنية وهو أن امرأة العزيز راودته فعلاً عن نفسه لكنه استعصم وامتنع أشد الامتناع، وهذا ما شهدت به امرأة العزيز نفسها حيث قالت: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه فاستعصم، أي امتنع عن هذه الفعل فقال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي، أي ألجأ إلى الله تعالى من مثل هذا الفعل لأسباب منها: أن هذا الفعل معصية لله تعالى ولا يجوز لنا أن نعصيه لجميل فضله علينا، وإجلالاً له تعالى، وأمر آخر إن العزيز قد أحسن إلي بعتقي وتربيتي وتبنيه لي، فكيف يجوز لي أن أخونه في أهله؟؟!! ولكنها أصرت وغلّقت الأبواب وأحكمت إغلاقها حتى لا يفر من قبضتها، وتزينت بأنواع الزينة ودعته لنفسها، فلما رأى ذلك منها غضب ورأى أن مثل هذه الأفعال لا تليق بمثله وهو الكريم ابن الكريم، فلما وعظها ولم تتعظ أراد زجرها وتأديبها، وهذا هو الهم الذي أراد الله بقوله (وهمّ بها لولا000) فهمّها به هو فعل الفاحشة، وهمّه بها هو إيقاع العقوبة بها لزجرها عن مثل هذه الأفعال، فلما أراد أن يبطش بها ويؤدبها رأى البرهان، وهو تكليم الله تعالى له في سره بقوله: (أنا أوقعتها في حبك يا يوسف، وستكون زوجك في المستقبل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فارحمها) ففر يوسف هارباً فلحقته تجذبه إليها وهو لا يلتفت، فجذبته من قميصه فقدّته من خلفه، فوجدا العزيز جالساً على باب القصر، فلما رأى ذلك أراد أن يبطش به حيث قالت: لقد راودني هذا العبد العبراني عن نفسي وأراد أن يخونك في أهلك، لكن الله تعالى أظهر الحقيقة على يد طفل رضيع في المهد إن كان شق جيب القميص من الأمام فهي صادقة، وإن كان قد جيب القميص من الخلف فهي كاذبة، فلما رأى القميص قد من الخلف علم العزيز أن يوسف قد هرب منها وهي لاحقة به من خلفه فأمسكت جيب القميص من خلفه وجذبته، لكن يوسف لم يلتفت إليها فقد القميص من خلفه من موضع يد المرأة.

وقد جاء برهان امتناع سيدنا يوسف عليه السلام منها في عدة آيات في سورة يوسف منها:

01 قوله عليه الصلاة والسلام في الآية رقم (23) وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون) وهذه المرحلة الأولى من المحاولة، فلما دعته لنفسها ذكرها بنعمة الملك عليه، ولا يجوز له أن يقابل النعمة بالخيانة.

02 رؤية البرهان، فقد جاء في الآية التالية (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ولولا في اللغة حرف امتناع لوجود، وعنى ذلك أن وقوع البرهان من ربه نفى وقوع الهم من يوسف، فلم يقع هم منه أصلاً، وأقصد بالهم الذي امتنع وقوعه هو همه بها مثلما همت به.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

03 شهادة الطفل، وخلاصتها أن تمزيق جيب القميص كان من الخلف، فكانت نتيجة التحقيق أنها هي التي راودته وهو على العكس منها، وهي التي أرادت اجتذابه وفر هارباً منها حتى مزقت قميصه وهو لا يلتفت إليها، فكانت هي من الكاذبين في دعواها ضده، وكان هو من الصادقين في نفي التهمة عنه.

04 قوله تعالى على لسان العزيز نفسه (يوسف أعرض عن هذا) أي لا تذكر هذا الفعل لأحد حتى لا أجرح في أهلي حيث خانتني المرأة، وأنتي يا زليخا استغفري ربك وتوبي إليه من مثل هذه الأفعال التي لا تليق بالعظماء من الرجال، والتوبة لا تكون إلا من ذنب وقع.

05 شهادة المرأة على يوسف بامتناعه من تلبية طلبها، فقد تسرب الخبر إلى نساء الأمراء والعظماء في مصر أن زليخا عملت كذا وكذا، فلما علمت بذلك أرادت إظهار عذرها بإبداء السبب الذي دعاها لمثل هذا الفعل، فدعتهن لتناول الطعام عندها، وبعد الطعام أخرجت لهن أترجاً، وهي فاكهة شهيرة في مصر، وهي فاكهة تشبه البرتقال، وتحتاج لسكين لإزالة القشرة وتقطيع الفاكهة، فلما أمسكن بالسكين لتقطيع الفاكهة أمرت يوسف بالخروج عليهن، وكانت قد ألبسته أجمل اللباس، وزينته بأبهى أنواع الزينة، فصار أجمل من البدر زيادة على ما منحه الله تعالى من جميل الصورة والهيئة، فلما رأينه وشاهدن حسنه وجماله غبن عن أنفسهن في جمال نبي الله يوسف، وقطعن الفاكهة ثم نزلت السكاكين على أيديهن فقطعن منهن الأصابع وجرى الدم من أيديهن ولم يشعرن بذلك، فلما أفقن من هذه الغيبة ورأين الدم ينزف لمن أنفسهن، فقالت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المرأة: لقد قطعتن أيديكن من رؤية يوسف لحظة واحدة، وجرى الدم منكن وأنتن لا تشعرن به، فكيف تلمنني على مثل هذا الفعل وهو يعيش معي في قصري لا يغيب عن ناظري؟؟!! ثم قالت: نعم، إن ما وصل لأسماعكن من طلبي له هو صحيح، لكنه استعصم ورفض كل الرفض، ولكنني مصممة على طلبي، وإن لم يوافقني على ذلك لأودعه السجن عقوبة له على معصيته لسيدته، فلذلك عندما سمعها سيدنا يوسف قد قلبت ظهر المجن، وانتقلت من الترغيب إلى الترهيب قال: رب السجن أحب إليّ من الوقوع في المعصية، وفعلاً أودع السجن ولبث فيه اثني عشر عاما متواصلة.

6. بعد مضي المدة التي أودعها في السجن أمر به العزيز ليخرج من السجن، لكن سيدنا يوسف رفض الخروج حتى لا يتوهم أحد أن سبب السجن كان من خيانته لسيدته، فطلب تشكيل هيئة تحقيق لتنظر في سبب سجنه، وهذا كثير ما يتعرض له العاملون بمعية العظماء، فلما انتهت الهيئة من إجراءاتها كتبت تقريراً للعزيز أن يوسف بريء من هذه التهمة، وأن امرأة العزيز قد اعترفت بأنها سجنته ظلماً حيث لم يلب طلبها، وأن النسوة أمرنه بتلبية طلب مولاته (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) وقالت امرأة العزيز (الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين).

وهكذا ظهرت براءة سيدنا يوسف أمام القاصي والداني، ولو سارع عليه الصلاة والسلام للخروج من السجن لربما ظل الأمر غامضاً بالنسبة لسبب سجنه، ولربما بقيت المرأة ومن بعدها النسوة يقلن ويبثثن الدعاية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ضده أنه خان الملك في أهله وأن هذا الأمر هو سبب سجنه، لكن نفى هذا كله عن نفسه وخلد الله تعالى ذكره في قرآن يتلى على مر الدهر أنه بريء مما رماه به بعض مفسري القرآن من هذه الأمة غفر الله لهم.

ما نسب إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
وهو قتل النفس
فأوجس في نفسه خيفة موسى

وخلاصة القصة: أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كان سائراً في مصر يوماً فوجد رجلاً من بني إسرائيل ورجلاً من الأقباط يقتتلان، فاستغاث الإسرائيلي بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، لأن موسى كان له صولة في الأقباط كونه كان ربيب فرعون وتربى في قصره، فعمد موسى إلى القبطي ووكزه بمجمع اليد (أي بقبضة اليد) ضربة صادفت أجله فمات القبطي.

هذا ما حصل لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، فقال: هذا من عمل الشيطان، واستغفر ربه من هذا العمل فغفر الله تعالى له.

وأستطيع أن أجمل الجواب على هذه الحادثة بعدة نقاط:

الأولى: إن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لم يقصد قتل القبطي، إنما قصد زجره عن التعدي على الرجل الإسرائيلي، لأن الأقباط كانوا أصحاب الأمر والسيادة على بني إسرائيل، فكان بنوا إسرائيل مستضعفين لا حول لهم ولا قوة، فضربه بيده تأديباً له فقط، وهذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أمر حسن يؤجر عليه لحسم الشر، وزجر المتعدي، لكن أجل هذا القبطي انتهى وقت الضربة فمات، وكان موته لانتهاء أجله ليس من الضربة، بدليل أن قبضة اليد لا تقتل في العادة.

الثانية: إن القبطي كان كافراً بالله تعالى، وقتل الكافر ليس ذنباً يعاقب عليه قانون السماء، لأن الكافر لا قيمة له لكفره بالله تعالى.

الثالثة: إن موسى عليه الصلاة والسلام نسب هذا الفعل للشيطان تنزيهاً لجناب الله تعالى، وأدباً معه، لأن فعل الشر وما هو مكروه للنفس والفطرة البشرية لا يجوز نسبته إلى الله تعالى أدباً معه أن ننسب إليه ما ليس من نعته، مع أن الكل بتقديره، وانظر إلى قول الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ *وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء:79 – 80) ففعل الخير نسبه إلى الله تعالى، ونسب المرض إلى نفسه أدباً مع الله حتى لا يذكر اسم الله تعالى إلا مقروناً بالخير وما هو محبب للنفس، مع العلم بأن الخير والشر من الله تعالى.

الرابعة: لم يكن استغفار سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام من ذنب، لأن الأنبياء منزهون عن الوقوع في الذنب، وإنما كان تواضعاً لله تعالى، وإجلالاً له لأن الأنبياء أعلم الخلق بالله تعالى وما يجب له من استعمال الأدب الرفيع بمعاملتنا معه، فقد جرى الاستغفار على المألوف من خوف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تعالى خوف إجلال وتعظيم، ودليل ذلك استغفارهم في الموقف يوم القيامة مع علمهم بأن الله تعالى لن يؤاخذهم.

فأوجس في نفسه خيفة موسى

لما اجتمع السحرة بأمر فرعون، وبدأ التحدي لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، قالوا له: أتلقي أنت أولاً أم نحن؟ فأوحى الله إليه في هذه اللحظة: قل لأحبابي أن يلقوا ما بأيديهم من الحبال، فلما قال لهم ألقوا انقلبت الحبال إلى حيات برأي العين فقط من تأثير السحر لا انقلاب عين، فأوجس سيدنا موسى بالخوف، وذلك من قوله تعالى له: قل لعبادي أن يلقوا ما بأيديهم، وحبيب الله تعالى لا يُغلب غالباً خاصة عند معية الله تعالى له بالعون، فكان خوفاً من تخلي الله تعالى عن إظهار الحق الذي أيد به موسى، فيحصل له التكذيب من فرعون وملائه، ولم يعلم بحقيقة الأمر بأن معنى أحبابي أي أنهم سيصبحوا كذلك عند معاينتهم للحق الدامغ لسحرهم المتمثل بانقلاب العصا حية تلقف إفكهم، فلذلك قال الله تعالى: لا تخف إنك أنت الأعلى، ولا تقف مع ظاهر القول الموحى إليك بأنهم أحبابي، ولكن انظر إلى ما سيؤول إليه أمرهم من الإيمان بي بعد قليل، فهذا كان خوف سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لا غير.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ما نسب إلى سيدنا داود عليه الصلاة والسلام
قتل قائد جيشه والزواج من امرأته
إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة

النقطة الأولى: وذلك ما أورده بعض المفسرين في تفسيرهم للآية الشريفة ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ **(ص:22 – 24)**

خلاصة تفسير الآية كما أورده المفسرون: ذكر بعض المفسرين أن داود عليه الصلاة والسلام خرج يوماً يتمشى على سطح قصره فبصر أمرأة جميلة تغتسل، فأعجبه حسنها وجمالها، فلما سأل عنها قيل له هي زوجة أوريا قائد جيشه، فأمره بالخروج للقتال، فخرج أوريا وقتل في المعركة، وتزوج داود من زوجته، وإنما كان قصد داود من إرساله ليقتل ويتزوج من هذه المرأة.

قلت: ذكرت في الرسالة الأولى من هذه السلسلة وهي (الترابط الجذري) شيئاً عن هذه القصة، وبينت أنها من الإسرائيليات المتسربة إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

دائرة الفكر الإسلامي، وأن المفسرين الذين أوردوها لم يتحققوا من صحة نسبة هذا لسيدنا داود عليه الصلاة والسلام، وإليك تفصيل ذلك:

جاء في التوراة:

وأما داود فأقام في أورشليم وكان في وقت المساء أنّ داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحمّ وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه (**بَثْشَبَع**) بنت أليعام امرأة أوريا الحتّي؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها،..... وفي نهاية الإصحاح يقول: وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة من ورائه فيُضرب ويموت..... ومات اوريا..... فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة 000وأما الأمر الذي صنعه داود فقبح في عيني الرب [1].

قلت: خلاصة القصة أن سيدنا داود عليه السلام كان عنده تسعاً وتسعين امرأة، فخرج يوماً ليتمشى على سطح قصره فرأى امرأة تغتسل في بيتها وكانت جميلة جداً فوقع حبها في قلبه فسأل عنها فقيل له: إنها امرأة قائد جيشه واسمه أوريا، فأرسل من يأتيه بها (فواقعها وزنا بها) هكذا نسبت التوراة، ثم إن داود أراد أن يتخلص من زوجها فكلفه بحصار مدينة

(1) سفر صموئيل الثاني الإصحاح 11: 2.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يوآب وأمر الجند أن يغتالوه، وفعلاً تم قتله، وبعدها حصل داود على مقصوده وتزوج من المرأة.

هكذا يقول اليهود، وهذه عقيدتهم في أنبيائهم، وهذه القصة من الإسرائليات التي تسربت لدائرة الفكر الإسلامي، وأوردها بعض المفسرين في تفسيراتهم للآية الشريفة (وهل أتاك نبأ الخصم000

أي أن داود عليه الصلاة والسلام لم يقنع بما عنده من النساء وكن تسعاً وتسعين، بل قادته شهوته لقتل قائد جيشه والتزوج من امرأته، وهل يقول بهذا مسلم في حق نبي مرسل زكاه الله تعالى في قرآن يتلى على مر الدهر؟؟ وهل يصح لرجل من أهل العلم فسر كتاب الله تعالى أن ينسب هذا الفعل لنبي رسول؟؟

والصواب أن داود عليه السلام لم يرَ زوجة قائده، وإنما كان أوريا مكلفاً بالجهاد ضد أعدائه، وفي معركة من المعارك سقط شهيداً إلى رحمة الله، فأكرم سيدنا داود عليه السلام هذا القائد بأن تزوج امرأته تكريماً له حتى لا تُهمل زوجته وتبقى بدون مُعيل، وهذا معروف عند كل الأمم، فهذا سيدنا جعفر الطيار رضي الله عنه لما استشهد في معركة مؤتة تزوج سيدنا أبو بكر زوجته أسماء بنت عميس، ولما توفي أبو بكر تزوجها سيدنا علي رضي الله عنهم جميعاُ، وهكذا يكون في المجتمعات الراقية الناجحة، لا لأجل الشهوة، ولو كان تزوجها لشهوته عليه السلام لاختار غيرها من الأبكار الصغيرات الجميلات من مملكته، ومن يمنعه من ذلك؟ فقد كان عنده مائة امرأة حرّة بخلاف الجواري، أيدع الأبكار الصغيرات وينتقل للثيبات المسنات؟؟؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فلذلك لما رأى سيدنا علي رضي الله عنه ما فعله القصّاص من إيراد هذه القصة قال: من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين[1].

قلت: وهذه الجلدات هي حد الفرية على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

النقطة الثانية: وهي إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة0

وهي مرتبطة بالآيات التي قبلها، حيث أورد المفسرون أن داود كان له تسع وتسعون امرأة، فحمل قائد جيشه على القتال ليقتل ويتزوج من امرأته، فجاءه الملكان بهذه الصورة ليعلماه أن هذا الأمر لا يصح في الشرع، هكذا نسب بعض المفسرين من هذه الأمة إلى نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، وهذه الحكاية المضحكة التي تضحك منها الثكلى نقلها من أوردها في تفسيره عن وهب بن منبه، ذلك اليهودي الذي أعلن إسلامه في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه، وأخذ يحدث الناس بما يحفظه من كتبهم القديمة، ومنه تسربت الإسرائيليات إلى دائرة الفكر الإسلامي، ومعلوم أن ما يتعلق بجانب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو من الشق الثاني لكلمة التوحيد، وهو داخل في مسمى العقيدة، وعلم العقيدة لا يؤخذ إلا من المتواتر من النصوص، فكيف يأخذ المفسرون عقيدتهم من رجل الله أعلم

(1) انظر تفسير البيضاوي 43/5.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بحاله، هل هو مسلم حقاً أم غير ذلك، أخذ يحدث الناس عما في التوراة المحرفة.

والصواب في تفسير هذه الآية والأليق بحق هذا النبي الكريم على الله تعالى هو ما سمعته من شيخنا وأستاذنا المرحوم عبد الكريم المومني عليه رحمة الله[1]: إن الله تعالى أعطى سيدنا داود عليه الصلاة والسلام أسرار أسمائه الحسنى البالغة تسعة وتسعين، فأراد داود أن يحظى بالاسم الأعظم، وكان هذا الاسم هو مما ادخره الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله تعالى له ملكين يحتكمان عنده بقصة لا أصل لها، ويقصدان منها الإشارة لما طلبه داود من الاستئثار بسر هذا الاسم المشرف، فدخلا عليه من سقف المنزل، وكان من عادته أن يخرج للناس يوماً للقضاء بينهم وتدبير شؤون المملكة، ويختلي يوماً صائماً ساجداً لله تعالى، ففزع منهم كونهم دخلوا عليه بغتة دون استئذان، والحرس محيطون بالقصر، فقالوا له: لا تخف إنما نحن خصمان نريد أن نتحاكم عندك، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فطلب مني أن يضمها إلى نهاجه قائلاً: إنما هي نعجة واحدة لا قيمة لها بمفردها، لكن إن ضممتها لنعاجي فيكون فيها البركة، فقال داود: لقد ظلمك في هذا الطلب، وهذا الأمر منتشر عند كثير من الناس، فلما أصدر داود حكمه وقضاءه، صعد الملكان وهما يقولان: حكم داود على نفسه، أي بطلبه سر الاسم الأعظم وقد أعطاه

(1) الفقيه العلاّمة المربي الكبير عبد الكريم المومني الحسيني ينتهي نسبه لسيدنا الحسين بن علي ابن أبي طالب، أخذ الفقه والعربية والعقيدة عن الشيخ العلامة محمد سعيد الكردي، ثم خلف شيخه في رئاسة زواياه في الأردن، كان ظاهر الورع متقللاً من الدنيا، غزير العلم، ظاهر الولاية، يقول من رآه: هذا الوجه وجه صحابي، من كلامه: من علامة المربي الكامل: العلم والزهد في الدنيا والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والورع، توفي عام 1411هـ ودفن في منزله في إربد وعليه مقام مشهور يزوره الناس للدعاء عنده.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله تعالى تسعة وتسعين اسما، فظن داود أن هذا اختباراً من الله تعالى وأنه أخطأ في حكمه عندما سمع الملكين يقولان: قضى داود على نفسه، فسجد لله تعالى ظناً منه أنه أخطأ في هذا الحكم، والصواب الذي يجب عليه أن يفعله أن يعتقد بنفسه العصمة، وأن لا يسجد، فكان استغفاره من السجدة لا من ذنب وقع به عليه الصلاة والسلام، وإنما جاء الملكان بهذه الدعوى من باب الإشارة فقط لما طلبه داود عليه الصلاة والسلام.

أما الذهاب بعيداً بتأويلات وكنايات صرح بها المفسرون أن المقصود بالنعجة هي المرأة فهو وإن صح لغة لا يصح شرعاً بحق نبي مرسل زكاه الله تعالى في كتابه الكريم في كثير من الآيات، وهذه تأويلات كلها مستقاة من التوراة المحرفة، ومعلوم عند القاصي والداني أن يهود لا يقيمون وزناً لنبي ولا لعالم، فالقول بقولهم يوجب حد الفرية وهو الجلد كما صرح بذلك سيدنا علي رضي الله عنه.

ما نسب لسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام
وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب
فطفق مسحاً بالسوق والأعناق

إن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام كان ملكاً ورسولاً إلى بني إسرائيل، ولم يكن محبوباً عندهم كما نلاحظ ذلك في توراتهم، لأنه لم يكن تأخذه في الله لومة لائم، فلذلك نسبت له التوراة كثيراً من الأمور التي لا يجوز ذكرها لأحد الفساق فضلاً أن يكون نبياً رسولا، ولم نجد لها مثيلاً إلا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في كتاب "ألف ليلة وليلة" وتسربت هذه الإسرائيليات إلى دائرة الثقافة الإسلامية، ولاقت رواجاً عند كثير من مفسري كتاب الله تعالى، والموسومين بالعلم، وهذه إحدى الحكايات المنسوبة لهذا السيد العظيم:

قيل إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبها، وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته، فكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه، فأخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة، وخرج إلى الفلاة باكياً متضرعا، وكانت له أم ولد اسمها أمينة، إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه، وكان ملكه فيه، فأعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر، وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه، فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه، وغير سليمان عن هيئته فأتاها لطلب الخاتم فطردته، فعرف أن الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوماً عدد ما عبدت الصورة في بيته، فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر، فابتلعته سمكة فوقعت في يده، فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجداً، وعاد إليه الملك.

وقال شهر بن حوشب ووهب بن منبه: إن سليمان عليه السلام سبى بنت ملك غزاه في البحر في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، فألقيت عليه محبتها وهي تعرض عنه، لا تنظر إليه إلا شزراً ولا تكلمه إلا نزراً، وكان لا يرقأ لها دمع حزناً على أبيها وكانت في غاية من الجمال، ثم إنها سألته أن يصنع لها تمثالاً على صورة أبيها حتى تنظر إليه، فأمر فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجدت معها جواريها وصار صنماً معبوداً في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

داره وهو لا يعلم، حتى مضت أربعون ليلة، وفشا خبره في بني إسرائيل، وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذراه في البحر.

وقيل: إن سليمان لما أصاب ابنة ملك صيدون واسمها جرادة. فيما ذكر الزمخشري. أعجب بها فعرض عليها الإسلام فأبت، فخوفها فقالت: اقتلني ولا أسلم، فتزوجها وهي مشركة، فكانت تعبد صنماً لها من ياقوت أربعين يوماً في خفية من سليمان، إلى أن أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوماً.

وقال كعب الأحبار: إنه لما ظلم الخيل بالقتل سُلب ملكه.

وقال الحسن: إنه قارب بعض نسائه في شيء من حيض أو غيره.

وقيل: إنه أُمر ألا يتزوج امرأة إلا من بني إسرائيل، فتزوج امرأة من غيرهم، فعوقب على ذلك والله أعلم.

قلت: إن من نكارة هذه القصة وصف سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلاة بما لا يليق به، فقد قالوا: كانت المرأة لا تنظر إليه إلا شزرا ولا تكلمه إلا نزرا، وشزرا معناه: احتقارا، ولا تكلمه إلا نادرا إعراضاً عنه، وهذا أسفل درجات الغباء والسفه الذي لا يليق بملك من الملوك فكيف بنبي رسول، ومن هي هذه المرأة التي تجر ملكاً رسولاً لحبها والافتتان بجمالها وهي مشركة تعبد غير الله، ثم تعرض عنه وهو يلهث وراءها، ويكلمها وهي مترفعة عليه لا تكلمه؟؟؟؟؟

أبعد هذا الوصف من تحقير يصل إليه رجل عاقل؟؟ كيف يصح أن يوصف به من زكاه الله تعالى في قرآن يتلى؟؟ يكفي من نكارة القصة:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

- مخالفتها للنصوص المحكمة في القرآن الكريم بتزكية الله تعالى له عليه الصلاة والسلام.
- أنها لم تأت هذه الرواية بسند، فهي مختلقة من نسج القصاص نقلاً عن توراة يهود المحرفة.

وقوله تعالى: وألقينا على كرسيه جسداً قيل: شيطان في قول أكثر أهل التفسير، ألقى الله شبه سليمان عليه السلام عليه واسمه صخر بن عمير صاحب البحر، وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر سليمان ببناء بيت المقدس فصوتتت الحجارة لما صنعت بالحديد.

هذا ما نسب بعض المفسرين لهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام نقلاً عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم من أهل الكتاب الذين أعلنوا دخولهم في هذا الدين، وبقوا يحدثون الناس بخرافات أهل الكتاب، ووجدوا آذاناً صاغية من بعض علمائنا، وتلقوها بالقبول وأودعوها كتبهم ليعلموا الجهال من هذه الأمة.

إن هذه القصص لا تصح سنداً ولا متناً، وهي مرفوضة عندنا جملة وتفصيلا، ذلك:

01 لأن السند الذي جاءت به هذه القصة واهي، بل أوهى من بيت العنكبوت، حيث كان مصدره أهل الكتاب، وهم غير مأمونين على دينهم، فكيف يكونون مأمونين على دين غيرهم؟؟

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

02 إن متن القصة شاذ بمرة، ومعارض للنصوص القطعية التي جاء بها القرآن الكريم.

03 إن من أورد هذه القصة لم يأت بدليل لا من كتاب ولا من السنة، بل إنه جاء معارضاً لما ورد في الصحيحين.

إن تفسير هذه الآية هو ما أورده الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه أو الملك: قل: إن شاء الله فلم يقل، ونسي فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً له في حاجته [1]

هذا هو الكلام المقبول عقلاً وشرعاً والذي ينبغي أن يقال عن نبي الله سليمان، والذي ينبغي أن يتناقله المفسرون لكتاب الله تعالى.

قلت: ونسيان نبي الله سليمان أن يستثني من الله تعالى لا من الشيطان، حتى ينفذ قدره، لأن الشيطان لا سبيل له على الأنبياء.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه 1275/3، والبخاري في الصحيح 1038/3، 1260/3، 6/5، 2447/2007.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فطفق مسحاً بالسوق والأعناق

أورد بعض المفسرين: أن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام أجرى الخيل للتدريب، فانشغل بها حتى غربت الشمس، وفاتته صلاة العصر، فأمر بالخيل فقطع أعناقها وأرجلها كونها أشغلته عن الصلاة.

قلت: إن هذا الكلام مردود لعدة أسباب:

الأول: إن من أورد هذا الكلام لم يراع ألفاظ الآية الشريفة، حيث لم يأت لفظ يدل على قطع سوق وأعناق الخيل، بل ورد (فطفق مسحاً) والمسح هو إمرار اليد على الشيء برفق، ولم نجد في اللغة ولو كلمة واحد تفيد أن المسح هو القطع، لذا قلنا هذا تأويل في غير محله.

الثاني: إن في قتل الخيل تعذيب لها، وإهلاك للمال العام خاصة وأنها من أهم وسائل الحرب قديماً، فكيف يقدم سيدنا سليمان على إهلاك هذه الأموال التي أمره الله بإعدادها للجهاد؟؟

الثالث: إن هذا العمل لا يجوز نسبته لسفيه من أولي الأمر، فكيف يُنسب لملك رسول شهد الله له بالعقل والأخلاق، وما ذنب الخيل حتى تقتل؟؟؟

الرابع: إن المفسرين أوردوا الشمس في تفسيرهم وأنها غربت، ولم يرد للشمس ذكر في الآية، وأوردوا صلاة العصر ولم تشر الآية للصلاة البتة، فمن أين أتوا بهذه الألفاظ؟؟

التأويل الصحيح للآية هو: أن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام أجرى الخيل للسباق تمريناً لها وللفرسان ليعدهم للجهاد في سبيل الله،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فانطلقت الخيل تجري حتى غابت عن بصره، وهذا هو معنى قوله تعالى(حتى توارت بالحجاب) أي حتى غابت الخيل عن عينه، فأمر بردها، فعاد الفرسان يعدون، فأخذ سيدنا سليمان يمسح أعراف الخيل بيده الشريفة، ويمسح سوقها فرحاً بها وهو يقول: إني أحببت الخير لأن ربي يحب الخير، لذا فإن محبتي للخير تابعة لمحبة ربي له، وهو قوله تعالى (إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) أي إن محبتي للخير هي ناتجة عن إخبار الله تعالى عن نفسه بأنه يحب الخير، هذا هو التفسير الصحيح للآية الشريفة لا غير.

ما نسب لسيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فظن أن لن نقدر عليه

وهو سيدنا يونس بن متّى عليه الصلاة والسلام، رسول الله إلى أهل نينوى في العراق، بلغهم رسالة ربهم، ومكث فيهم زماناً يدعوهم إلى الله وهم يأبون الدخول في الإسلام، فرفع قضيته إلى الله تعالى فوعده بإهلاكهم وأمهلهم ثلاثة أيام، وكانت عادة الأنبياء الذين يبلغون رسالة ربهم ولم يؤمن به قومه، يخرج من بين ظهرانيهم ومن آمن معه ثم يتركهم ليحل بهم عذاب الله تعالى، فخرج من عندهم وقد أخبرهم بأن الله سيهلكهم بعد ثلاة أيام، فلما رأوه قد خرج، وقد أقبل العذاب من السماء، اجتمع عقلاؤهم وقالوا والله ما جربنا على يونس كذباً، هلمّ فلنؤمن بدعوته، حتى إذا حل بنا العذاب متنا على الإيمان، فاجتمع رأيهم على ذلك، فتابوا إلى الله تعالى، وآمنوا به، وردوا المظالم إلى أهلها، وجهزوا أنفسهم للموت،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقلوبهم متوجهة إلى الله، وطلبوا سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام ليؤمنوا به فلم يجدوه، فعفا الله عنهم وتاب عليهم ولم ينزل عليهم عذاباً بسبب توبيتهم، قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها، إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى حين) أما سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فلما خرج من عندهم كان متيقناً بأن عذاب الله سيحل بهم لوعد الله إياه بذلك، فخرج مغاضباً قومه لإصرارهم على الكفر، ولكن لما مضت المدة ولم ينزل بهم شيئاً ظن أن الله تعالى لم ينجز له ما وعده، ولم يعلم بإيمان قومه، وظن أن الله لم ينجز له ما وعده من إهلاك قومه، وذلك معنى قوله: (فظن أن لن نقدر عليه) أي أنه ظن أن لن ننجز له ما وعدناه من إهلاك قومه بسبب كفرهم، حيث أنه لم ير للعذاب أثراً بعد وعد الله إياه بذلك، وإنما كان المانع من إيقاع العذاب هو إيمانهم بالله بعد خروجه من بين ظهرانيهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ما نسب إلى سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

- عبس وتولى * أن جاءه الأعمى.
- ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر.
- واستغفر لذنبك وللمؤمنين.
- وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه.
- إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مئة مرة.
- لا عليكم ألا تفعلوا (قصة تأبير النخل).
- قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم.
- أسرى بدر.
- عفا الله عنك لمَ أذنت لهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

القضية الأولى: عبس وتولى

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى عبس وتولى: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى عبس أي كلح بوجهه، يقال: عبس وبسر[1] وقد تقدم، وتولى أي أعرض بوجهه، أن جاءه: أن في موضع نصب، لأنه مفعول له، المعنى: لأنه جاءه الأعمى أي الذي لا يبصر بعينيه، فروى أهل التفسير أجمع: أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبدالله بن أم مكتوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع عبدالله عليه كلامه فأعرض عنه، ففيه نزلت هذه الآية قال مالك: إن هشام بن عروة حدثه عن عروة أنه قال: نزلت عبس وتولى في ابن أم مكتومن جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا محمد استدنني، وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: يافلان هل ترى بما أقول بأسا؟ فيقول: لا والدمى ما أرى بما تقول بأسا، فأنزل الله عبس وتولى.

وفي الترمذي مسنداً قال: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، حدثني أبي قال: هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: نزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يارسول الله أرشدني، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله صلى الله

(1) انظر هنا كيف شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالكافر الشقي الوليد بن المغيرة الذي جاء وصفه في سورة المدثر، وهذه أولى الطامات، والثانية أنه قال: كلح في وجهه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا ففي هذا نزلت، قال: هذا حديث غريب[1].

الثانية: الآية عتاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في إعراضه وتوليه عن عبدالله ابن أم مكتوم، ويقال: عمرو بن أم مكتوم، واسم أم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم، وعمرو هذا هو ابن قيس بن زائدة بن الأصم، وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها، وكان قد تشاغل عنه برجل من عظماء المشركين يقال: كان الوليد بن المغيرة ابن العربي قاله المالكية من علمائنا، وهو يكنى أبا عبد شمس وقال قتادة: هو أمية بن خلص وعنه: أبي بن خلف.

هذا ملخص القصة، والكلام على ذلك يقتضي عدة مسائل:

الأولى: جاءت الآية مبتدأة بوصف العبوس، وهذه الصفة ليست من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما سبني سبة قط، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحد من أهله قال: دعوه فلو قدّر الله شيئاً كان[2] وإنما كانت صفة العبوس من صفات الكافر، وقد جاء وصفه في سورة المدثر (ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر) والنبي صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم من أن يتصف بهذه الصفة التي جاءت في معرض ذم الله تعالى للكفار.

---

(1) رواه الترمذي 234/5 وابن حبان في صحيحه 293/2 وغيره.
(2) رواه أبو نعيم في الحلية 124/7 مسلم في صحيحه 1804/4 بلفظ آخر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثانية: إن النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس تمسكا بكتاب الله تعالى، وقد أنزل عليه في مكة آيات تأمره بالجلوس مع المستضعفين من المسلمين، فقد جاء في سورة الكهف وهي من أوائل ما نزل بمكة من القرآن ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (الكهف:28) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الأعمى الذي جاء متعلماً هو خروج عن هذا الأمر الإلهي، وهل يوصف النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية؟؟

الثالثة: لا يجوز أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: وما عليك ألا يزكى، فإن فيه إغراء بترك الحرص على هداية قومه، وهذا مناف لما أمره الله تعالى به بقوله (وأنذر عشيرتك الأقربين) وما عرفناه من سيرته عليه الصلاة والسلام، حيث خاطبه الله تعالى بآيات عدة تفيد عكس ما يدل عليه معنى الآية إن كانت موجهة له صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ **(الكهف:6)** ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ **(الشعراء:3)** ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ **(فاطر: من الآية 8)** وهذا مما يوجب تعارضاً في القرآن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرابعة: إن الأعمى الذي ذكره جمهور المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية هو: عبد الله بن أم مكتوم، والحادثة كانت بمكة قبل الهجرة، وأن النفر الذين تصدى لهم النبي عليه الصلاة والسلام هم: أمية بن خلف، وأبي بن خلف، والوليد بن المغيرة، وهؤلاء النفر لم يثبت أنهم التقوا بعبد الله، فإن عبد الله كان في المدينة، وهؤلاء كانوا بمكة، قال القرطبي ناقلاً عن ابن العربي: أما قول علمائنا إنه الوليد بن المغيرة فقد قال آخرون: إنه أمية بن خلف والعباس، وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين، ذلك أن أمية بن خلف والوليد كانا بمكة، وابن أم مكتوم كان بالمدينة ماحضر الوقوف ولا حضرا معه، وكان موتهما كافرين: أحدهما قبل الهجرة والآخر ببدر، ولم يقصد قط أمية المدينة ولاحضر عنده مفرداً ولا مع أحد[1].

الخامسة: الاضطرابات الواقعة في المتن:

الاضطراب في الرواية يوجب بطلانها، لأن الحديث المضطرب هو أحد أقسام الضعيف، وهذه الرواية جاءت في قسم العقائد، وهذا الجانب لا يؤخذ فيه إلا بالمتواتر، لذا هي مردودة باطلة لوجود الاضطراب فيها، وإليك بيان ذلك:

01 جاء في بعض رواياتها أن النبي صلى الله عليه وسلم تشاغل عن الأعمى برجل من عظماء قريش يقال: أنه الوليد بن المغيرة ويكنى أبا عبد شمس.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 212/19.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

02 وفي رواية ابن حبان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنه رجل من عظماء المشركين[1]

03 وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح 1/ 152:

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن الذي كان يكلمه أبي بن خلف.

وروى سعيد بن منصور من طريق أبي مالك أنه أمية بن خلف.

وروى بن مردويه من حديث عائشة أنه كان يخاطب عتبة وشيبة ابني ربيعة.

ومن طريق العوفي عن بن عباس قال: عتبة وأبو جهل وعياش.

ومن وجه آخر عن عائشة كان في مجلس فيه ناس من وجوه المشركين منهم أبو جهل وعتبة.

04 وذكر ابن عبد البر في التمهيد 22/ 324:

أنه رجل من عظماء المشركين ثم قال: وهذا الحديث لم يختلف الرواة عن مالك في إرساله.

وقال معمر عن قتادة قال جاء ابن أم مكتوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلم يومئذ أبي بن خلف.

وهذه اضطرابات لا تقوم معها حجة في هذا الخبر.

---

(1) صحيح ابن حبان 293/2.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

السادسة: الاضطراب الواقع في إسناد الرواية:

جاءت الرواية بأسانيد متعددة، ولكن غالبها ـ إن لم نقل جميعها ـ ضعيفة الإسناد لا يحتج بها خاصة وأنها جاءت في باب العقائد:

حديث السيدة عائشة: ضعيف مرسل، أخرجه الترمذي وأبو يعلى والحاكم من طريق يحي بن سعيد الأموي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قال الترمذي: حسن غريب، وقد أرسله بعضهم عن عروة ولم يذكر عائشة [2].

وذكر ابن عبد البر أنه رجل من عظماء المشركين ثم قال: وهذا الحديث لم يختلف الرواة عن مالك في إرساله [1].

والعلة الثانية: يحي بن سعيد أورده العقيلي في الضعفاء حيث قال: يحيى بن سعيد الأموي حدثنا الخضر بن داود قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: سمعت أبا عبد الله وذكر يحيى بن سعيد الأموي فقال لي: ما كنت أرى أن عنده هذا الحديث الكثير فإذا هم يزعمون أن عنده عن الأعمش حديثا كثيرا وكان له أخ قد روى علما يقال له عبد الرحمن بن سعيد ولم يثبت أمر يحيى في الحديث كان يصدق وليس بصاحب حديث[2].

وأما حديث أنس فضعيف:

أخرجه أبو يعلى عن محمد بن مهدي عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس.

---

(2) رواه الترمذي 234/5
(1) التمهيد 324/22:
(2) ضغفاء العقيلي403/4 رقم الترجمة 2025.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا الحديث مسلسل بالعلل التالية:

01 محمد بن مهدي شيخ أبي يعلى مجهول.

02 قتادة مشهور بالتدليس، وقد عنعن ولم يصرح بالسماع، وهو معدود في الطبقة الثالثة[3].

حديث ابن عباس ضعيف جداً واهي منكر:

الحسن بن الحسن العوفي ضعيف جدا [4]

الحسن بن عطية العوفي ضعيف من الطبقة الخامسة [5]

وأما نكارته أن النبي صلى الله عليه وسلم (أمسك بعض بصره، وخفق رأسه) وجزم بهذه النكارة ابن كثير في تفسيره.

خلاصة الأمر:

- إن هذه الرواية جاءت بأسانيد ضعيفة لينة لا تقوم بها حجة خاصة في مجال العقيدة، وكذلك جاءتنا باضطرابات في المتن ونكارات، لذا فهي مردودة سنداً ومتناً حسب ضوابط الجرح والتعديل.
- إن القرآن نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة، وكان منه ما نزل بسبب ومنه ما لم يكن نزوله بسبب، ولما علمنا بطلان سبب نزول هذه الآيات قلنا: إن العبرة فيها بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لذا والحالة هذه

(3) انظر طبقات المدلسين لابن حجر 67.
(4) انظر الجرح والتعديل 48/3 والمغني في الضعفاء 171/1.
(5) انظر التقريب 68/1، الجرح والتعديل 26/3.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يمكننا القول بأن الذي عبس هو شخص غير النبي صلى الله عليه وسلم.

- ليس في هذه الآيات ما هو تنقيص في حق النبي صلى الله عليه وسلم، على فرض أن المخاطب بالعبوس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا فيها أية شائبة ذنب قد ننسبها له صلى الله عليه وسلم، لأن النبي كان مهتماً بإسلام هذا الكافر حيث أنه لو أسلم لأسلم رجال كثار بإسلامه.
- إن الأعمى هو الأحق بالتأديب والزجر لمقاطعته حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لما هو معلوم من هديه عليه الصلاة والسلام أن من مكارم الأخلاق التي جاء بها أنه لا ينبغي لأحد أن يقاطع أخاه وهو يتكلم حتى ينهي كلامه.
- إن هذه الآيات جاءت معلمة للدعاة من هذه الأمة فيما لو حصل معهم مثل هذا الموقف أن انصراف الداعية للمسلم الذي علم إسلامه أولى من انصراف الداعية إلى كافر لم يعلم إسلامه، ولو كان بإسلامه إسلام الفئام من الناس، ليعلم القاصي والداني أن المسلم خير من المشرك.
- استعمل بعض المفسرين كلمات لا تليق بجناب النبوة عند تفسيرهم لكلمة (عبس) وكان الأجدر بهم والأليق أن يستعملوا كلمات تناسب مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكما جاءت هذه الآيات معلمة لنا درس الانصراف عن الكافر العظيم في قومه إلى الأعمى الضرير الذي لم يؤبه له، ونزل العتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لانصرافه عن الأعمى، كذلك يجب على العلماء أن يراعوا الأدب الرباني الذي أدب فيه نبيه بإنزال الرجال منازلهم والمكانة اللائقة بهم، وهذه من الدروس المستفادة من هذه الآيات الشريفة.

القضية الثانية:

ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

هذه الآية من أمهات الآيات الدالة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، وسياق الآيات هي (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما * وينصرك الله نصراً عزيزا000) إذاً هذه الآيات جاءت في معرض إظهار نعم الله تعالى على سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم، فأولى هذه النعم هي نصر الله تعالى له على عدوه وفتحه المبين.

ليغفر: اللام في اللغة لام كي، أي أن الله تعالى نصره كي يغفر له، والنصر لا يكون إلا بالجهاد، أي فلن ينصر الله عبداً له على عدوه وهو نائم في بيته بين أهله، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم متفانياً في نشر الدعوة، لا يضع سيف الجهاد تأديباً للمخالفين من الأعراب، حاز أرفع الأوسمة من الله تعالى، فكان أولاها الفتح والنصر المظفر على العدو، ثم أكرمه الله تعالى بمغفرة الذنب، ومن المعلوم أن الجهاد يكفر السيئات للعبد، ويرفعه الله به أعلى الدرجات، إذاً لا مجال لذكر الذنب هنا، فالأنسب إذاً في هذا المقام ـ كونه مقام تكريم وتشريف للنبي. صلى الله عليه وسلم أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا يذكره بذنب، فإذا كان هذا فما المقصود إذاً؟ فالجواب: أن الله تعالى حفظ نبيه من الذنوب جميعها صغيرها وكبيرها، عمدها وسهوها، بدليل منطوق الآية وهي قوله تعالى: (وما تأخر) فالذنب الماضي يتصور مغفرته، ولكن الذنب المستقبل لا يتصور مغفرته قبل وقوعه، لذا كان المعنى: من تمام نعمة الله تعالى عليك. وأنت أهل لهذه النعمة. أن حفظك من الذنوب جميعها، وكل ما صدر منك فهو مرضي عندي، ولم يكن بيني وبينك إلا صورة الجمال، فكل ما برز من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مرضي عند الله تعالى، وكل ما برز من الله تعالى فهو محبب إلى رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذه نعمة، ثم أردف الآية بقوله (ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما) فهدايته الصراط المستقيم هو انتهاج النبي صلى الله عليه وسلم بتوفيق الله تعالى سبيلاً لا لوم فيه من الله، ألا وهو شرعه الذي هداه إليه، فإذا ما وفق الله تعالى عبداً لصراطه المستقيم فهذه هي قمة النعمة.

والشاهد على ذلك من السيرة النبوية:

01 قوله عليه الصلاة والسلام بحق أهل بدر: وما يدريك أن الله اطلع على بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ولو أخذنا على الكلام على ظاهره لقلنا أنه حث على اقتراف المعاصي لكونها مغفورة، لكن الأمر غير هذه، فالمعنى: إني سأكرمكم بالحفظ من المعاصي، وأهديكم الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، فلن يقع منكم معصية بعد اليوم، وإن وقعت بتقديري فهي مغفورة.

02 كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بصورة دحية الكلبي رضي الله عنه، وكان دحية من أجمل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العرب، ما رأت المدينة بعد رسول الله أجمل منه، وفي هذا إشارة من الله تعالى لنبيه، وكأن الله تعالى يقول: ذهبت أيام المحن، ولم يبق فيما بيني وبينك إلا صورة الجمال، ومن هذه الصورة الجمالية أن لا يأتي أحد الطرفين بما هو غير مرضي عند الطرف الآخر، فما كان من الله تعالى فهو عين محاب رسوله، وما كان من رسول الله فهو عين الرضى من الله، ولو كان في الأمر معصية لتكدرت الصورة حيث يقال: ذكر الجفاء أيام الصفاء جفاء.

03 من تمام تكريم الله تعالى لنبيه في هذه السورة أن جعل مبايعته عليه الصلاة والسلام لصحابته هي عين مبايعة الله، فأقامه مقام نفسه، وهذه غاية التكريم والتبجيل من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) وإذا كرّم الله تعالى عبداً بهذه الصورة أيصح تصور وقوع الذنب منه؟؟؟

لذا فهي آية جامعة لأصناف نعم الله على رسوله، ومنها عصمته من الذنوب بهدايته الصراط المستقيم صراط الله الذي ارتضاه له ولأمته من بعده وأنعم.

القضية الثالثة:

واستغفر لذنبك وللمؤمنين

إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مئة مرة

هذه آية تأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار له ولأمته، وجاءت آيات عدة في مثل هذا المعنى، فإذا كان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذنبه وما تأخر، أي أن الله عصمه من كل الذنوب فلماذا يأمره بالاستغفار؟ ومن هنا قال بعضهم بجواز الصغائر التي لا خسة فيها على الأنبياء.

قلت: وأي ذنب بحق الله تعالى لا خسة فيه؟ كل مخالفة من العبد لربه هي عين الخسة والانحطاط، كما قيل لا تنظر لحجم المعصية، ولكن انظر من عصيت، وبحق من وقعت هذه المخالفة، لذا كان عليه الصلاة والسلام مأموراً بالاستغفار لا من ذنب لأنه معصوم منه، لكن تشريعاً لأمته، وكأنا نقول: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفغر وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعصمه من الذنوب جميعها، فما حالنا نحن المذنبون؟؟!! وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مثل هذه الحالة من العصمة والمغفرة يستغفر في الجلسة مئة مرة، فما الواجب في حق العصاة من أمته؟؟ إذاً هو تشريع لنا بأن نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الاستغفار والاكثار منه، لما يعود علينا بالفوائد الجمة في الدنيا والآخرة.

لكن بقي شيء هو: قوله عليه الصلاة والسلام (إنه ليغان على قلبي) فما هي حقيقة هذا الغين؟؟

قلت: الغين في اللغة هو الغشاء الرقيق الذي يغطي الشيء، والقلب هو القلب المعنوي المعبر عنه باللطيفة الربانية النورانية التي أودعها الله هذا الجسم وبه يكون التكليف، حيث أنه مسمى من مسميات العقل، وقد تكلم العلماء في هذا الغين، فمنهم من قال عنه أنها صغائر الذنوب التي لا خسة فيها، ومنهم من قال هي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، إلى غير ذلك من الأقوال، ولم يفسر هذا الغين حقيقة إلا السادة الصوفية لما منحهم الله من سعة الفهم وسلامة القريحة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جاء عن أبي المواهب الشاذلي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له: يا رسول الله، إنك قلت: إنه ليغان على قلبي فما هي حقيقة هذا الغين؟ فقال عليه الصلاة والسلام: غين أنوار يا مبارك لا غين أغيار، والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم في زيادة وترقي في العلوم الإلهية والكمالات الربانية (وقل ربي زدني علما) فإذا ما ترقى من مقام كامل إلى ما هو أكمل منه استغفر من المقام الأول، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر في اليوم مئة مرة، واليوم أربع وعشرون ساعة، أي أنه عليه الصلاة والسلام كان يترقى في المعارف الإلهية في الساعة الواحدة أربعة مقامات، وهذه لم تكن لأحد قبله صلى الله عليه وسلم، وهذه هي عين المنّة، وهذا هو عين العطاء، فاستغفاره عليه الصلاة والسلام ليس من ذنب قدمه بحق الله تعالى لا صغير ولا كبير، ولا هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وإنما هو الترقي في الكمالات الإلهية والمعارف الربانية.

القضية الرابعة:

وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه

هذه الآية الشريفة جاءت في معرض الآيات الشريفة الواردة في سورة الأحزاب، والتي ألغى الله تعالى فيها حكم التبني، فقد أمر الله تعال نبيه بزواج زينب بنت جحش المخزومية من زيد بن حارثة حب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم متبنياً زيد، وقد كان يدعى زيد بن محمد، وكان في الجاهلية إذا تبنى شخص ولداً يعتبر ابناً

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

له يرثه، فلما أراد إلغاء هذا الحكم أمر بزواج زيد من زينب، فترفعت زينب على زيد وأبت هذا الزواج الذي اعتبرت فيه زيداً غير كفؤ لها، فإنها من بني مخزوم الذين كانوا يزاحمون بني هاشم على السيادة، وزيد رقيق، فكيف يكون هذا؟؟ لكن الله تعالى أنزل فيها قرآنا (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا) فلما سمعت زينب هذه الآيان صدعت بالأمر الإلهي، وفعلاً تم الزواج، لكنه كان زواجاً غير موفق لأن زينب بقيت تفتخر على زيد وتترفع عليه معتبرة نفسها خيراً منه وأنه غير كفؤ لها، فاستأذن زيد رسول الله بطلاقها، لكن النبي امره بالصبر على أذاها، وبقي الأمر كذلك إلى أن وصل زواجهما إلى طريق مغلق، وقام زيد بطلاق زينب، ولما انقضت عدتها أمر الله تعالى نبيه بالزواج من زينب، فتهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الزواج الذي كان يعتبره العرب عاراً عظيماً وخروجاً عن العرف والعادة، وأنه عليه الصلاة والسلام سوف يتعرض لنقد الناس بخروجه عن مألوفاتهم، وهو سر قوله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) من زواجك منها (وتخشى الناس) تخشى كلام الناس عليك بخروجك عن مألوفاتهم (والله أحق أن تخشاه) الذي أمرك بهذا الزواج حتى يلغي بزواجك هذه حكماً جاهلياً ويقرر حكماً جديداً قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً) بزواجه منها (زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا...).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والغريب في هذا الأمر هو أن بعض مفسري كتاب الله تعالى من هذه الأمة اتهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بحب زينب، وأن قوله تعالى: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) إنما هو حب النبي لزينب، ولا أدري من أين أتوا بهذا التفسير الغريب الذي ما ادخره الله تعالى إلا لمثل هؤلاء العباقرة، ومن أين اطلعوا على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن العقل يقضي بعكس ما رماه به الجاهلون بحاله، لقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها وقد كان سنه خمس وعشرون، وقد كانت تتقدمه بخمس عشرة سنة، حيث كانت في الأربعين من عمرها، وقد تزوجت من اثنين قبله عليه الصلاة والسلام، ولو كان من أجل الشهوة لتزوج غيرها من الفتيات الجميلات الأبكار، ومن يمنعه من ذلك، فقد كان أجمل فتى في قريش، وحسبه ونسبه يؤهلانه بالزواج من أجمل بنات الملوك، لكنه لم يلتفت لهذا كله، وتزوج من بعدها من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وكان في الستين من عمرها، وتزوج عليه الصلاة والسلام أزواجه كلهن ثيبات كن تحت أزواج قبله عليه الصلاة والسلام إلا ما كان من السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي الزوج البكر الوحيدة التي تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام وقد ناهز الخمسين من عمره بسنوات، أي بعد بلوغه سن الشيخوخة، فهل بعد هذا يصح القول بما رماه به الجهلة من محبة امرأة ثيبة كانت زوجة لرقيق كان عنده؟؟؟ إن هذا ضرب من الإذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

القضية الخامسة:
أنتم أعلم بأمور دنياكم

أخرج مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال: فخرج شيصا، فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم[1].

اختلفت كلمة العلماء في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام (أنتم أعلم بأمور دنياكم) فمنهم من قال: بأن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أموراً خاصة به ما علينا من بأس في عدم الاقتداء به فيها، ومنهم من قال بانا ملزمون بالاقتداء به في الأحكام فقط، ومنهم00 ومنهم00وقد قلت في بداية كتابي هذا عند كلامي على الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: إن المعلم الفذ ينوع أساليب التدريس ليكون أسهل في إيصال المعلومة لذهن الطالب، ومعلوم أن التكرار في الشيء يورث الملل، وأن كل جديد له تأثيره على الغير، لذلك قد يقوم المعلم بعرض بعض الأمور التي تثير الاهتمام عند الطالب فتكون حافزاً له على معرفة كنه هذه الأمور، وقد يتصرف المعلم تصرفاً لا يليق حسب عقل الطالب وفكره المحدود، فيقيس الأمور بعقله ويقلب الأمور، فإن توصل إلى سبب مقنع ليلتمس لأستاذه عذراً في هذا التصرف، وإلا لربما اتهم أستاذه بما يحلو له، فتارة يقول: إنه غير معصوم عن الخطأ، وتارة يقول: إن هذا

(1) رواه مسلم في صحيحه 1836/4.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأمر لا يعدو أن يكون أمراً سهلاً لا بأس به، و00و00الخ والأمر في الحقيقة على خلاف ما توصل إليه الطالب في معرفة سر هذا التصرف، وكنه هذا الأمر؛ وبناء على ذلك قلنا: إن في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتنوع أساليبهم في الدعوة أموراً وتصرفات قاموا بها غابت عنا الحكمة منها، كقضية تأبير النخل المشهورة في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، والتي سنتكلم عليها إن شاء الله، وغيرها أيضاً كثير في سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلما غابت عنا الحكمة من هذا التصرف اتهمنا أنبياء الله تعالى بأن في حياتهم أشياء تخصهم لا داعي لتقليدهم فيها، فقلنا بما لا يجوز القول به في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإذا ما ظهرت لنا الحكمة فيها قمنا بالاعتذار عما قلناه لجهلنا، فكان حالنا معهم كحال كسرى مع معلمه، مع أن الأولى بنا أن نسلّم الأمر لصاحبه، ونؤمن بأن هذا التصرف حق وإن غابت عنا الحكمة فيه، ولنتهم علمنا القاصر بعدم إدراك مراد النبي منه، لا أن نوجد مبررات لا قيمة لها، ونقيس تصرف هذا النبي بمقياسنا المحدود.

إن المتتبع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة في المدينة يجد أن الله تعالى أيده بمعجزات كثيرة، فهذا أبو هريرة يأتي النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيرا أنساه، فقال عليه الصلاة والسلام: ابسط رداءك فبسطه فحثا له من الهواء بيديه الشريفتين ثم قال ضمه، فضمه أبو هريرة، فكان أبو هريرة يقول: والله ما نسيت بعدها شيئاً، وكان أكثر الصحابة رواية للحديث، وهذا الحديث في صحيح البخاري، وجاءته امرأة وهو يأكل، وقد كانت ترافث الرجال وتمازحهم لقلة حيائها،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فطلبت منه شيئاً تأكله عل الله تعالى أن يرزقها الحياء، فأعطاها من يده، فقالت: أريد من الذي في فمك، فأعطاها، فأكلتها، فعلاها الحياء ولم تكلم رجلاً حتى ماتت، وجاءه أسيد بن حضير وعباد بن بشر يسمران معه عليه الصلاة والسلام، وكان الليل شديدا، فلما مضيا من عنده ضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في النور، فلما افترقا أضاءت عصا الآخر حتى وصلا المنزل، والحديث في الصحيح، وجاءه شاب يطلب منه أن يرخص له في الزنا، فمسح على صدره، فخرج من عنده وما خلق الله شيئاً أبغض إليه من الزنا، وأعطى رجلاً في المعركة جذلاً من حطب ليقاتل به فانقلب في يده سيفاً صارماً شديد اللمعان طويل المتن، فقاتل به يومه، وبقي عند إلى أن مات، وكان يسميه "العون" ومثل هذه كثير قد أتيت بثلة طيبة منها في كتابي (النفحات الربانية بالاستغاثة بسيد البرية) فليراجعه من شاء، فلما رأى الصحابة ذلك طلبوا منه عليه الصلاة والسلام ما أملوه منه من خيرات الدنيا والآخرة حتى قال بعضهم: أريد مرافقتك في الجنة، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فغار الله تعالى على رسوله وعلى إيمان أصحابه حتى لا يعتقد الأصحاب فيه كما اعتقد النصارى في عيسى، فقال لهم ما قصه الحديث، أي أن الله تعالى جعل الأمر على خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم، مع أنه أعلم بهم من أنفسهم، لكن ليرده الله إلى العبودية التي تقضي التجرد من كل صلاحية، فكما أن الله تعالى أقامه في بعض المواطن مقام نفسه، رده الله إلى العبودية حفظاً على إيمان ضعفاء اليقين الذي قد يتسرب إلى فكرهم كما تسرب ذلك إلى فكر النصارى فقالوا بسيدنا عيسى ما قالوا، لذا دعا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم لا تجعل قبري من بعدي وثناً يُعبد، حفظاً على توحيد الأمة حتى لا يرفعوه فوق المنزله التي وضعه الله فيها، لذلك جاء مدحه عليه الصلاة والسلام على لسان الشعراء موافقاً لهديه:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

القضية السادسة:

حادثة سحر النبي صلى الله عليه وسلم

خصصت لهذه الحادثة مؤلفاً مستقلاً أسميته (تنزيه نبي الله عما نسب إليه من السحر) ناقشت فيه الأمر من جميع جوانبه، وخلصت إلى رد الرواية سنداً ومتنا، وها أنا ألخص ما جاء في كتابي ذاك فأقول:

لا غرابة في رد هذه الرواية أو عدم قبول الاحتجاج بها، والتي جاءت في الصحيحين، ولا حاجة ملحة في الإكثار من الأدلة على ردّها لولا ما تبناه بعض طلبة العلم من خطورة المقولة (ليس كل ما في الصحيحين صحيحا) لأن ذلك برأيه يشكك في الدين ظناً منه أن صحيح البخاري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

معصوم، وأن ردّ بعض مروياته إنما هو طعن في الدين زيادة على ما فيه من قدح في شخصية مؤلفه عليه رحمة الله.

إن ردّ حديث في أحد الكتب الحديثية ليس غريباً وليس كبيرة من الكبائر، لأن الروايات التي أوردها الحفاظ في مصنفاتهم إنما هي أقوالُ رجالٍ ليسوا معصومين، وإنما ظهر لراوي الحديث ثقة هذا الرجل فأخذ عنه، وقد يخطئ وقد يصيب، وذكرت في مقدمة الرسالة الأولى عن بسر بن سعيد وهو من كبار التابعين ومن رجال الكتب الستة ومن تلاميذ أبى هريرة أنه قال: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأتينا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثنا عن كعب ثم يقوم فأسمع بعض مَن كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب ويجعل حديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

فليس إذاً رد روايةٍ في الصحيح كبيرة لما أوردناه من ردّ بعض الصحابة رواية بعضهم بعضاً وهم عدول، ما دام أن هدف الذي يرد رواية هو إظهار الحق الذي يراه، لا مجرد الطعن في الصحيح، إذا كان قد استند على أدلة مقبولة، مع إجلالي الكبير واحترامي العظيم لسيدنا الإمام البخاري عليه من الله الرضى، وأمطر قبره شآبيب رحمته، وجزاه الله بما جمع من صحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الجزاء، هو وكل من ساهم في خدمة الحديث، لكني أحببت القول أن العصمة لكتاب الله فقط،، أما باقي البشر غير الأنبياء فهم غير معصومين، مع العلم أني لست أول من قال بهذا القول، بل هناك من العلماء الكثار من ردّ روايات في

(1) كتاب التمييز 175.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الصحيحين لمعارضتها المحكم من القرآن أو الروايات الصحيحة المشهورة، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

01 نقل الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه على كتاب التوحيد أثناء كلامه على حديث شريك بن أبي نمر في الإسراء: "قال الخطابي: ليس في هذا الكتاب يعني صحيح البخاري حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة[1]

فهذان عالمان ردا حديثاً لأنه عارض القرآن بوصف الله تعالى بالمكان لأن المكان مستحيل على الله تعالى.

02 وذكر الحافظ أيضاً عند شرحه حديث عبد الله بن مسعود الذي ينكر فيه أن تكون المعوذتان من كتاب الله تعالى ما نصه:

"وأما قول النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوّذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد شيئاً منهما كفر، وما نُقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح ففيه نظر، وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد ابن حزم فقال في أوائل المحلى: ما نُقل عن ابن مسعود من إنكار المعوذتين كذب باطل، وكذا الفخر الرازي في أوائل تفسيره: الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل [2].

وهذه أقوال ثلاثة من العلماء ردوا حديثاً وارداً في الصحيحين، وهو إنكار سورتين من القرآن أن تكونان منه، وقد ورد الحديث بالإسناد الصحيح، فإيهما نعتمد: هذا الحديث أم الإجماع؟

03 نقل الحافظ الذهبي في السير عن ابن حزم أنه ردّ أحاديث إسرائيل التي

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري 7517/483/13.
(2) فتح الباري 4977/743/8.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

في الصحيحين كلها [3].

04 روى البخاري في الصحيح بسنده إلى عروة أن النبي ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: "إنما أنا أخوك، فقال له: أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال".

قال الحافظ أثناء شرحه لهذا الحديث: قال مغلطاي في صحة هذا الحديث نظر لأن الخلة لأبي بكر إنما كانت بالمدينة وخطبه عائشة كانت بمكة فكيف يلتئم قوله: إنما أنا أخوك، وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم ما باشر الخطبة بنفسه كما أخرجه بن أبي عاصم من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل خولة بنت حكيم إلى أبي بكر يخطب عائشة فقال لها أبو بكر: وهل تصلح له إنما هي بنت أخيه؟ فرجعت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: ارجعي فقولي له: أنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: ادعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فانكحه [1].

وهذا الحديث في الصحيح قد رُدّ لمخالفته الحوادث التاريخية الثابتة في السنة النبوية.

05 وروى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين" قال الحافظ عند شرحه للحديث:

---

(3) سير أعلام النبلاء 358/7.
(1) فتح الباري 124/9، والحديث في الصحيح 1954/5 برقم 4793.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

"وقد استشكل الإسماعيلي هذا الحديث من أصله وطعن في صحته فقال بعد أن أخرجه هذا خبر في صحته نظر من جهة أن إبراهيم علم أن الله لا يخلف الميعاد فكيف يجعل ما صار لأبيه خزيا مع علمه بذلك وقال غيره هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعده وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه[2].

لذا سأبين تالياً إن شاء الله الأدلة التي اعتمدتها في رد هذه الرواية:

أولاً: إن هذه الرواية هي خبر آحاد، ومعلوم عند جماهير الأصوليين أن خبر الآحاد لا يفيد العلم مطلقاً، وإنما يفيد الظن، أي بمعنى لا يؤخذ به في باب العقيدة، وإنما يؤخذ به في الأحكام والعمل دون العلم، وهذه بعض أقوالهم:

01 قال الإمام النووي: "وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر، سواء كان الراوي له واحداً أو أكثر، واختُلف في حكمه، فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمَن بعدهم من المحدّثين والفقهاء وأصحاب الأصول، أن خبر الواحد الثقة حجة من حُجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم[1].

02 قال الإمام عبد القادر البغدادي: "وقالوا – أي أهل السنة – إن الخبر المتواتر طريق العلم الضروري بصحة ما تواتر عنه الخبر، إذا كان المخبَر عنه بما يشاهَد بالحس[2] والضرورة كالعلم بصحة وجود ما تواتر الخبر

---

(2) فتح الباري 500/8، والحديث في الصحيح برقم 4491.
(1) صحيح مسلم بشرح النووي 20/1.
(2) يشترط لإفادة الخبر المتواتر اليقين أربعة شروط: أحدها أن يكون المخبرون به عدداً يحيل تواطؤهم على الكذب، وثانيها: أن يكونوا عالمين بما يخبرون عنه، وثالثها: أن يكون ما أخبروا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فيه من البلدان التي لم يدخلها السامع من المخبر عنها، وكعلمنا بوجود الأنبياء والملوك الذين كانوا قبلنا، فأما صحة دعاوى الأنبياء في العلم فمعلوم بالحُجج النظرية.

وقالوا: إن الأخبار التي يلزمنا العمل بها ثلاثة أنواع: تواتر، وآحاد، ومتوسط بينهما مستفيض.

فالخبر المتواتر الذي يستحيل التواطؤ على وضعه يوجب العلم الضروريّ بصحة مخبرِه، وبهذا النوع من الأخبار علمنا البلدان التي لم ندخلها، وبها عرفنا الملوك والأنبياء والقرون الذين من قبلنا، وبه يعرف الإنسانُ والديه الذيْن هو منسوبٌ إليهما.

وأما أخبار الآحاد فمتى صحّ إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبةً للعمل بها دون العلم، وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم في أنه يلزم الحكم بها في الظاهر، وإن لم يعلم صدقهم في الشهادة 000[3].

03 قال الحافظ ابن عبد البر: واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل هل يوجب العلم والعمل جميعاً، أم يوجب العلم؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم – أي المالكية – أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعاً ولا خلاف فيه 000والذي نقول به إنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين

عنه أمراً ممكناً، ورابعها: أن يكون مستندهم في العلم بما يخبرون عنه الحس دون النظر والاستدلال.

(3) الفرْق بيت الفِرق ص 325.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والأربعة سواء، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر .

04 **قال إمامنا الشافعي**: الأصل القرآن والسنة وقياس عليهما، والإجماع أكبر من الحديث المنفرد [1].

05 **قال الحافظ البيهقي**: ولهذا الوجه من الاحتمال ترك أهل النظر من أصحابنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله تعالى، إذا لم يكن لما انفرد منها أصل في الكتاب أو الإجماع واشتغلوا بتأويله[2].

06 **قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي**: فأما الظني من الخبر الصحيح، فلا يعتد به الحكم الإسلامي في بناء العقيدة، لأنه إنما يفيد الظن، ولقد نهى القرآن (في مجال البحث في العقيدة) عن اتباع الظن - كما قد رأيت - ولكن يعتد به في نطاق الأحكام العملية، لثبوت الخبر المتواتر، والدليل القطعي على أن المسلم مكلف- بالنسبة للسلوك العلمي – بالاعتماد على الظني من الخبر الصحيح، ولذلك صح أن تستند الأحكام الشرعية إلى الأحاديث الصحيحة وإن كانت آحاداً، وذلك حيطة في الأمر وأخذاً بالحزم.

غير ذلك أن اليقيني من الخبر الصحيح، وهو ما يسمى بالخبر المتواتر، هو وحده الذي يُعتد به في بناء العقيدة والمدركات اليقينية، بمعنى أن الإنسان لا يجبر على الاعتقاد بشيء خبري إلا إذا كان قائماً على برهان التواتر، فإن كان دليله خبر آحاد، كان اليقين به عائداً إلى القناعة الشخصية التي يراها من نفسه [3].

وحتى لا أطيل على القارئ أحيله للتثبت من هذه المسألة على المراجع

---

(1) انظر الحلية لأبي نُعيم 105/9، ومناقب الشافعي للبيهقي 30/2.
(2) الأسماء والصفات ص 357.
(3) كبرى اليقينيات الكونية ص32-33.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التالية: بدائع الصنائع للكاساني 1/ 20، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 2/ 126، إرشاد الفحول للشوكاني ص48، مختصر ابن الحاجب 2/ 56، روضة الناظر لابن قدامة ص 52، أساس التقديس للرازي ص 192، المستصفى للغزالي ص 70، إتحاف السادة المتقين 2/ 105، وغيرها من كتب أصول الفقه.

لذا هي مردودة بنص العلماء، لأنها رواية آحاد، والمرجع في ذلك القرآن، والتواتر شرط في الأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد، وهذه الرواية ليست من التواتر في شيء،، وجاءت في العقيدة المتعلقة بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم إذ أن عصمته من تأثير السحر عقيدة من العقائد، لا يؤخذ في نفيها إلا باليقين، فوجب أن نفوض الأمر بالحديث، ولا نحكّمه في عقيدتنا، ونأخذ بنص القرآن وبدليل العقل.

ثانياً: معارضة الرواية للقواعد القطعية التي جاءت في القرآن الكريم، ومن هذه القواعد:

- قوله تعالى في المحكم من التنزيل: ﴿واللهُ يعصمك من الناس﴾ (**سورة المائدة:6**)، والعصمة هي: المنع مع عدم صحة التخلف، أي بمعنى أن الله تعالى يمنع نبيّه من الناس الذين يريدون تصفيته بأي شيء، لا مجرد الكلام غير اللائق بحقه صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء الناس الساحر، وما يفعله الساحر، وهذه الآية محكمة غير منسوخة.
- قوله تعالى لإبليس: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ **الإسراء: 65**، ومعلوم أن الساحر لا يستطيع فعل شيء من أمور السحر إلا بمعاونة الجن والشياطين، فإذا ما حاول الساحر سحر مؤمن أرسل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جنوده من الشياطين والجن ليفعلوا ما يأمرهم به، فإذا وجدوه قد تحصن بذكر الله اعتزلوه، وبقوا ينتظرون منه غفلة حتى يفعلوا به ما أمروا به من السحر، فما دام المؤمن ذاكراً لله تعالى، متحصناً بآياته لا يظره سحر ولا شيطان كما ورد في الأحاديث الصحيحة، ونبينا صلى الله عليه وسلم كان يتلو هذه الأذكار ويأمر الناس بها، وكان يقرأ القرآن في سائر أحيانه، فكيف يضره سحر أو شيطان وهو نبي الأمة وقدوتها؟!!

- قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: 40، 41) والمخلَصون هم الذين أخلصهم الله تعالى لعبادته وتقواه، وتولاهم بحفظه ورعايته، ولم يكلهم لغيره، وعلى رأسهم الأنبياء صلوات الله عليهم جميعا، فليس للشيطان عليهم من سبيل أبدا، والسحر هو سبيل من سبل الشيطان على بني آدم، لذلك أكد الله تعالى هذه الحقيقة بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل:99).
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ (الفرقان:8) ويعنون بالرجل هو محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك: أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عندما جاء قريش بهذا القرآن وعجزوا عن الإتيان بمثله، قالوا عنه إنه رجل مسحور، أعانه عليه أعوانه من الجن، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(الفرقان:4) فقولهم إن محمداً له اتصال بالجن هو زور وبهتان وقول غير صحيح البتة، وظلم بحق النبي وبحق القرآن وبحق أنفسهم أيضاً، فلذلك نفى الله تعالى هذا الادعاء من أصله، ونفى أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم له أي اتصال بجن أو شيطان، وبما أن السحر هو اتصال بالجن والشياطين، فقد عصم الله نبيه من ذلك سواء بتأثير السحر فيه، أو الاتصال بالجن بأي شكل من الأشكال سوى الدعوة إلى الإسلام لأنه مرسل إليهم، كما هو مرسل إلى البشر.

- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الأعراف:184) ﴿إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (المؤمنون:25) ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون:70) ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾ (سبأ:8) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ:46).

وهذه النصوص القرآنية هي نفي لما رماه الكفار به صلى الله عليه وسلم من المس والجنون وتلاعب الشيطان، فلا الشياطين يوحون إليه كما يقولون، ولا سبيل لهم عليه بأي تأثير، سواء كان سحراً أو غيره.

قال الإمام الجصاص: "زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم سُحر، وأن السحر عمل فيه حتى قال فيه: إنه يتخيّل لي أني أقول الشيء وأفعله، ولم أقله ولم أفعله، وأن امرأة سحرته في جف طلعة ومشاطة، حتى أتاه جبريل عليه السلام فأخبره أنها سحرته في جف طلعة، وهو تحت راعوفة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

البئر فاستخرج وزال عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك العارض وقد قال الله تعالى مكذباً للكفار فيما ادّعوه من ذلك للنبي فقال جلّ مِن قائل ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ **(الفرقان: من الآية8).**

ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعّباً بالحشو الطغام، واستجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها [1].

وقال الإمام الطاهر بن عاشور مثل هذا القول فانظره في محلّه [1].

ثالثاً: وقوع عدد من الاضطرابات في متن الرواية، ومعلوم أن الحادثة إن قلنا بوقوعها فهي تنص على: أن المادة التي وقع السحر بها واحدة، وأن الساحر واحد، ومكان السحر واحد، وطريقة استخراجه واحدة، وأن الذي استخرجها واحد، وكيف عامل النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي سحره معاملة واحدة، ونوع السحر واحد وغير ذلك مما نقف عليه إن شاء الله، إلا أن هذا لم يحصل أبداً، فقد جاءت الاضطرابات عن الرواة بالاختلاف في هذا كله، مع أننا نقول: لو كانت الحادثة وقعت فعلاً لرواها لنا عدد كبير من الصحابة بدون اختلاف في ماهية الحادثة فمن هذه الاضطرابات:

01 الاضطراب في تعيين مادة السحر: فقد جاء في مجموع هذه الروايات تعدد مادة السحر منها:

---

(1) أحكام القرآن 49/1.
(1) التحرير والتنوير 628/30.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

* أنه وتر فيه إحدى عشرة عقدة.
* طلعة جب ذكر.
* تمثال شمع على صورة النبي صلى الله عليه وسلم .
* إبر مغروزة فيها إحدى عشرة عقدة.
* نبات اسمه مشط الذنب.
* إن السحر كان في عظمة.

02 الاضطراب في تعيين أسماء الرجال الذين استخرجوا السحر:

* جاء أنه سيدنا علي وسيدنا عمار رضي الله عنهما.
*جبير بن إياس الزرقي.
* إن الذي استخرجه هو النبي صلى الله عليه وسلم.
* استخرجه النبي وعدد من أصحابه.
* إن الذي استخرجه هو سيدنا علي رضي الله عنه.
* قيس بن محصن الزرقي.

03 الاضطراب في تعيين نوع السحر:

* جاء أنه سحر تخييل (أي أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وهو في الحقيقة لم يفعله).
* سحر مرض، حتى أنه كان يدور وما يدري ما وجعه.
* سحر ربط عن الزوجات وخاصة السيدة عائشة رضي الله عنها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

* سحر امتناع عن الطعام والشراب.
* جاء أنه أنكر بصره.
* وجاء أنه كاد ينكر بصره.

04 الاضطراب في تعيين الرجال الذين أخبروه عن السحر:

* جاء أنه جبريل عليه السلام.
* رجلان لم يسميا.
* ملكان.
* رجل لم يسمّ.

05 الاضطراب في تعيين الحالة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم عندما أخبر:

* جاء في بعض الروايات أنهم جاءوه وهو نائم.
* كان بين النائم واليقظان.
* جاءوه في النوم (أي رؤيا منامية).

06 الاضطراب في تعيين طريقة العلاج:

* جاء أنه احتجم عليه الصلاة والسلام.
* جاء أن تأثير السحر انتهى بإخراجه من البئر.
* جاء أن الشفاء كان بالدعاء.
* وجاء أن جبريل قد نزل بالمعوذتين، فكان عليه الصلاة والسلام كلما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قرأ آية انحلت عقدة من عُقد السحر، مع أنه سيأتي أن هاتين السورتين مكيتان لا مدنيتان.

07 الاضطراب في تعيين مكان السحر:

* جاء أنه في بئر ذي أروان.
* وجاء أنه في بئر ذروان.
* وجاء أنه في بئر بني ريسان تحت الراعوفة.
* وجاء أنه في أسفل البئر تحت صخرة.
* وجاء أنه في أعلى البئر تحت الراعوفة.

08 الاضطراب في معاملة البئر بعد اكتشاف السحر:

* جاء أنها نُزحت (أي نضح ماؤها).
* وجاء أنها لم تنزح وبقيت على حالها.
* وجاء أنها دُفنت بالتراب.
* وجاء أن لون مائها أحمر كأنه نقاعة الحناء.
* وجاء أن لونه كان أخضر.

09 الاضطراب في تعيين الساحر:

* جاء أنه لبيد بن الأعصم اليهودي.
* وجاء أنهن أخوات لبيد.
* وجاء أنه رجل من الأنصار.
* وجاء أنه منافق لم يسمّ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

10 الاضطراب في تعيين الإجراء النبوي ضد الساحر:

* جاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا الساحر وأجرى معه تحقيقاً فاعترف فعفا عنه.
* وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لم يذكر ذلك لأحد مخافة أن يتعلم الناس السحر.
* جاء أنه قتله.
* وجاء أنه لم يقتله حتى لا يثير على الناس شرا.
* وجاء أنه ما رآه في وجهه حتى مات.

11 الاضطراب في تحديد مدة السحر:

* جاء في بعض الروايات أن مدة السحر كانت أياماً فقط.
* وجاء أنها أربعون يوماً.
* وجاء أنها ستة أشهر.
* وجاء أنها كانت سنة كاملة.

الشذوذ الواقع في متن الرواية:

مخالفة الرواية لما جاء في القرآن الكريم من عصمة الله تعالى أنبياءه من شر الناس ومن شر الجن والشياطين، فقد تقدم قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (**المائدة: من الآية67**) والعصمة هي الحفظ مع عدم التخلف، أي بمعنى أن الله تعالى إذا عصم إنساناً فإن عصمته له لن تزول، أما الحفظ فقد يتخلف، أي بمعنى أنه قد يزول، لذلك جاء النص القرآني

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بلفظ العصمة التي يستحيل أن تزول عن نبي أو رسول جاء وصفه بها، ومن جملة الناس الساحر، فلا سبيل لساحر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال من الأحوال وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ **(الحجر:42)** وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **(النحل:99)** وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ **(الاسراء:65)** فهذه الآيات تفيد عصمة الأنبياء من كيد الشيطان والجن وأعوانهم، فلا يصلون إليهم بحال، بل قد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة أو كلمة نحوها، ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) قال روح: فرده خاسئا[1] فكيف يصح في العقل والشرع أن يكون النبيّ المؤيد من الله والمعصوم من كيد الجن والإنس ألعوبة في يد ساحر أو شيطان قال الله عنه ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ **(النساء: من الآية76)** أم كيف يجوز أن ننسب إلى أنبياء الله ما لم ينسبه الله له؟ بل قد جاء الوصف بعصمتهم من ذلك، لأن هذا الوصف مناف لمنصب الرسالة، ومن قال غير ذلك فقد زاحم النصوص القرآنية.

---

(1) صحيح البخاري 176/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وصـــل

قال بعض أهل العلم: إن تأثير السحر بالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينافي عصمته، لأن السحر إنما وقع في بدنه الشريف، لا في عقله أو شرعه، ومعلوم أن أشد الناس ابتلاءً هم الأنبياء، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان معصوماً من إذاية الخلق لعصمه يوم أحد عندما كُسرت رباعيته، وهذا من باب التشريع لنا على أن نصبر إذا ما أصابنا مثل ذلك.

قلت: إن هذا القول لا دليل عليه، فإن تأثير السحر بالنبي صلى الله عليه وسلم منافٍ لعصمته، لأسباب بينتها سابقاً ولا مانع من إعادتها:

01 إن السحر ضرب من تصرف الأرواح الخبيثة السفلية بأرواح بني آدم وأجسامهم، بحيث يتحكم الجن أو الشيطان بهذا الجسم المراد سحره من قِبل الساحر، وهذا ممتنع لأن الدليل القطعي من القرآن نص على ذلك بما سبق من آيات.

02 لا يتم تأثير السحر إلا إذا دخل الشيطان أو الجني الموكل بذلك في جسم المسحور، ولا تسكن الشياطين إلا أجساماً مظلمة لا نور فيها، ولا حظّ لها بذكر الله تعالى إلا قليلا، وأما الأنبياء فقد نوّرهم الله تعالى وجعلهم محلاً لتجلياته، وأيدهم بالوحي، فكيف يستطيع الشيطان أن يسكن جسماً عمره الله بالإيمان، وعمره صاحبه بالذكر؟! وقد أخبرنا الله تعالى أن القرآن حجاب للمسلم من الذين لا يؤمنون بالله سواء كانوا إنس أو جان قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾ (الاسراء:45).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

03 إن الله تعالى جعل في القرآن شفاء للمؤمنين من كل داء قد يصل إليهم، وهذا الدواء قد يكون علاجياً أي بمعنى أن نستعمل الآيات القرآنية لمرض وقع، وقد نستعمله كعلاج وقائي لمرض قد نظن أنه سيقع، وهو من باب الوقاية خير من العلاج، وقد جاء في السنة أن لبعض الآيات القرآنية خاصية الحفظ من الشيطان وكيد الإنسان، ومنها السحر، وجاء في السنة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على هذه الأذكار، فكيف يصح تأثير السحر بالنبي أو المؤمن حافظ على هذه الأذكار؟! إن القول بذلك فيه تكذيب للنبي فيما يبلغنا به عن رب العزة، وفيه تكذيب للآيات القرآنية.

وأما قولهم بأن السحر إنما وقع على جسمه الشريف، فهذا قول مناهض للواقع، فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم خُيل إليه أنه كان يفعل الشيء وهو لم يفعله في الواقع، وهذا تأثير على العقل لا على الجسم، وإذا وصل التأثير إلى العقل فما وراء ذلك إلا الجنون، إن لم نقل أنه الجنون بعينه، وهل يصح لنا أن نصف نبي الله بشيء عصمه الله منه بنص القرآن قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الأعراف:184) وأما قولهم إن ذلك من باب الابتلاء، كما وقع له صلى الله عليه وسلم في معركة أحد حيث شج وجهه الشريف، فهذا لا غبار عليه بأن الأنبياء أشد الناس بلاءً، وقد يقع على أجسامهم الأذى من الخلق بالضرب أو الجرح أو القتل، لكن هذا لا يعني أن يقع النبي تحت رحمة الشياطين أو الجن يتصرفون فيه كما شاءوا، لأن الأذى على الجسم ظاهر للناس، فلا سبيل لكافر أن يتقول على وحي الله، أما إذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كان الأذى يصل إلى عقل النبي فهذا مطمع كبير للكفار بأن يقعوا في شرع الله بالطعن ونسبة كلام الله إلى الجن، ولكان لهم نوع عذر بعدم تصديق النبي فيما يأمر به من الإيمان، لكون الاحتمال الراجح عندهم أن هذا الرجل الذي يدعي النبوة له اتصال بالجن والشياطين، وأن هذا الكلام الذي يدعيه إنما هو من وحي الجن لا من عند الله.

ومن شذوذ هذه الرواية:

- مخالفتها قول الله تعالى على لسان الكفار: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ (الاسراء:47) ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ (الفرقان من الآية8).

ولو قلنا بوقوع هذه الحادثة لصدق الباطل في الحق (أي لصدق قول الكفار بالنبي عليه الصلاة والسلام) وهذا تكذيب لنص المحكم من الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

- مخالفتها المحكم من القرآن وهو قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الأعراف:184) ﴿إِنْ هُوَ إِلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (المؤمنون:25) ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون:70) ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلال الْبَعِيدِ ﴾(سبأ:8) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ:46)

- جاء في بعض الروايات أن جبريل عليه السلام نزل عليه بالمعوذتين (قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) وهذا معارض لما عليه جمهور العلماء من أن هاتين السورتين مكيتان لا مدنيتان، مما حدا ببعضهم القول بتكرار النزول، أي أن جبريل عليه السلام أنزل هاتين السورتين على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين، هروباً من الواقع الذي واجهه في هذه الرواية، والدليل الدامغ الذي جاء به مَن نفى تأثير وقوع السحر.

لذلك حكم الحافظ أبو عبد الله الحاكم على هذا الحديث بالشذوذ، فقد قال في كتاب "المدخل إلى كتاب الإكليل":

"وحديث أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: طُب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل إليه أن يفعل الشيء ولا يفعله فهذا الحديث مخرج في الصحيح وهو شاذ بمرة[1].

ومما يؤكد شذوذه ما أوردناه من مخالفته الثقات والمتواتر من النصوص القطعية الدلالة، التي تدل على عكس ما جاءت به هذه الرواية.

وصل

إن هذا الحديث الذي بين أيدينا شاذ وإن كان مخرجاً في الصحيحين، وأن الحق مع الحافظ أبي عبد الله الحاكم في الحكم عليه بالشذوذ، وأن

(1) المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل ص 96 شرح وتحقيق احمد فارس السلوم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحكم عليه بالصحة هو مخالفة لما وضعه الحفاظ من قواعد لضبط الحديث النبوي، فقد قال علماء الحديث: إن الحديث الصحيح هو: ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من أوله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة.

إذاً لا يُحكم على حديث بأنه صحيح حتى يستكمل هذه الشروط الخمسة وهي:

01 اتصال السند 02 ثبوت العدالة 03 ثبوت الضبط 04 سلامته من الشذوذ 05 سلامته من العلة القادحة.

فإذا اختل بواحدة منها نزل عن رتبة الصحة إلى رتبة الضعف، فاتصال السند وثبوت العدالة موجودان، وأما ثبوت الضبط فقد تكلمنا على اتهام عروة بالاختلاط ونعيده الآن للحاجة إليه:

إن هذه الرواية هي أسلم الطرق التي جاء بها الحديث لذا أودع البخاري ومسلم كثيراً منها في الصحيحين، وأغلبها يتابعه فيها ابن هشام الزهري، وكان الزهري يُعَدّ أوثق من هشام، ومثل هذا الحديث فيه إشكالات متنية واضطرابات مما يجعلنا نقف عند هشام الذي لم ينتشر الحديث إلا في عصره، ومنه أخذ الناس، وذلك أغلب الظن كان سنة (140) هـ أو بعدها بقليل، أي قبيل وفاة هشام سنة (45) هـ أي أن هشام بن عروة عاش بعد الزهري بنحو عشرين سنة أو أكثر، وهذا يجعلنا في تساؤلات دفعنا إليها المتن: لِمَ لم يروه الزهري أو أصحاب عروة؟؟ ولماذا لم يُعرَف الحديث عن غير عروة؟ سيما وأن هذه الحادثة جد خطيرة، وهي أكبر من أن ينفرد بها صحابي فضلاً عن أن ينفرد بها تابع تابعي، أي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يبقى الحديث دفيناً حتى نحو سنة (140) هـ فمثل هذا الحديث أحرى أن نزيد تثبتنا فيه، وقد علمنا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن ما هو أقل أهمية من هذه الحادثة جاءنا بأسانيد متعددة، فالمسح على الخفين مثلاً وهو مسألة فرعية من فروع الفقه جاءتنا عن سبعين صحابياً، فكيف بمسألة مهمة كهذه؟!

وبعد البحث ظهر لنا أن ما رواه هشام بن عروة في أواخر سني حياته مختلف بعض الاختلاف بانفراد أو زيادة أو وهم إسناد ونحو ذلك، عن الفترة المعاصرة للزهري أو بعده بقليل، ونجد غير واحد يثبت هذه الدعوى، فهذا القاضي إسماعيل ينقل علي بن المديني أن يحي القطان كان يضعف أشياء حدّث بها هشام بن عروة في آخر عمره لاضطراب حفظه بعدما أسنّ، وكذا ينقل غير واحد هذا عن يحي القطان، وحدّثوا أن مالكاً نقم عليه حديثه لأهل العراق، وكان لا يرضاه [1].

وقال عنه ابن خِراش: قدم الكوفة ثلاث قدمات: قدمة كان يقول فيها: حدثني أبي قال: سمعت عائشة، والثانية: كان يقول: أخبرني أبي عن عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة يعني يرسل عن أبيه وأيّد هذا يعقوب بن أبي شيبة فقال: هشام ثبْتٌ لم يُنكَر عليه إلا بعد مسيره إلى العراق، فإنه انبسط في الرواية وأرسل عن أبيه، مما كان سمعه من غير أبيه عن أبيه [1].

فهذا خلل أول في الحكم بصحة هذه الرواية حسب قواعد المحدّثين.

---

(1) تهذيب الكمال 329/30، سير أعلام النبلاء 35/6.
(1) تهذيب الكمال 329/30، سير أعلام النبلاء 35/6.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما الخلل الثاني: فهو وقوع الشذوذ في متن الحديث، ومن هذه الشذوذ ما تكلمنا عليه من مخالفته للقواعد قطعية الثبوت والدلالة في القرآن الناصة على عكس هذه الرواية، وهذا خلل ثاني في صحة هذه الرواية.

كما أنه جاء شذوذ في متن روايات البخاري منها:

- جاء في الحديث رقم (3095) أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى البئر لوحده، وجاء في الحديث رقم (5430) أنه ذهب مع أناس من أصحابه.
- كما جاء في الروايتين السابقتين: أنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وجاء في الرواية رقم (5432) أنه كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن.
- كما جاء في الرواية رقم (5433) أن الساحر لبيد يهودي من بني زريق، وجاء في الرواية رقم (5716) أن لبيد ليس يهودياً وإنما هو حليف من بني زريق وهم حلفاء يهود.

هذه بعض الشذوذ الواردة في متن الروايات التي جاءت في أسلم الطرق والتي وردت في صحيح البخاري، وقد ذكر الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: أن هذا من غرائب صحيح البخاري أن يورد الحديث بنفس الإسناد بلفظين مختلفين.

وبناء على ما عرضناه من مخالفة هذه الرواية لقواعد الحديث الصحيح نقول: إن الرواية وإن جاءت في الصحيحين لا تستند إلى شروط الصحة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التي نص عليها علماء الحديث، فقد اختل فيها شرطان هما: الضبط لأحد الرواة، والشذوذ في المتن، وعليه فتنزل الرواية من رتبة الصحة إلى الضعف.

وجاء في رواية ابن سعد في الطبقات أن الحادثة وقعت في السنة السابعة للهجرة بعد صلح الحديبية، وأن الذين سحروا النبي ﷺ هم اليهود، ومعلوم عند علماء التأريخ والسير أن وجود اليهود قد أنهي في المدينة عام خمس للهجرة بغزوة بني قريظة، التي جاءت نتاج خيانة اليهود للمسلمين في غزوة الأحزاب، حيث قتل الرجال منهم وسبيت الذرية وغنم المسلمون أموالهم، فلم يبق في المدينة يهود بعدها حتى يسحروا رسول الله ﷺ إنما بقي منافقون فقط أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وهو من حلفاء اليهود لا من اليهود.

جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ نفسه ويعوذ الحسن والحسين عليهما السلام بالمعوذتين، كما جاء في رواية ابن سعد في الطبقات أن أخوات لبيد الساحر قلن: إن كان محمد نبياً فسيُخبر بالسحر، وإن يك غير ذلك فسوف يدلّهه، أي يذهب عقله من تأثير السحر فيه، فأخبره الله عز وجل، وهذا يفيد أن أهل الكتاب كان عندهم علم بأن الأنبياء مؤيدون من الله تعالى، لا يضرهم سحر ولا شيطان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خلاصة البحث

بعد هذا البحث والتتبع نخلص إلى:

- أن حادثة السحر هي رواية ضعيفة الإسناد شاذة المتن، فلا يحتج بها لا في الأحكام ولا في العقيدة.
- إن هذه الرواية _ على فرض صحتها _ هي حديث آحاد وقد أوردنا أقوال العلماء أن حديث الآحاد وإن كان صحيحاً لا يؤخذ به في العقائد، لأن من شرط أصول الاعتقاد التواتر.
- إن هذه الحادثة غير ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد تكلم فيها غير واحد من العلماء وردّوها، إذ أنه ليس كل ما جاء في الصحيحين سليماً من النقد والتتبع سنداً ومتناً.
- إن هذه الحادثة والتي خرّجت في الصحيحين لم تنتشر بين الصحابة، مع أنها من الخطورة بمكان، وقد حفظ لنا الحفاظ ما هو أقل منها، فلم يكن لها بين الصحابة ولا بين التابعين ذكر، إلا في زمن راويها هشام بن عروة أي سنة (140) هـ تقريباً وهو تابع تابعي، فكيف يكون هذا الأمر معهوداً في الصحابة، خاصة عند الذين ذهبوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر من البئر، ولم يروها إلا السيدة عائشة، ولا عنها إلا عروة، ولا عنه إلا هشام؟؟!
- إن هذه الحادثة هي قدح في منصب النبوة والرسالة، إذ أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم أكرم على الله من أن يجعلهم ألعوبة بأيدي السحرة وأعوانهم من الجن والشياطين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

- وهي مخالفة لأصل العصمة التي عصم الله بها أنبياءه من كيد الجن والإنس، فهم قدوة لأممهم في أفعالهم وأحوالهم وأقوالهم، إذ أن كل ما صدر عنهم هو تشريع.
- إن المعوذتين مكيتان أنزلتا على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، وقد جاء في السنة أنه عليه الصلاة والسلام كان يعوذ نفسه ويعوذ الحسن والحسين عليهما السلام بهاتين السورتين، وبما أنه قد جاء في روايات الحادثة أن من طرق العلاج التي شفي بها النبي صلى الله عليه وسلم قراءتهما، فيكون امتناع وقوع السحر واجب لأنه كان يعوذ بهما نفسه وهو علاج وقائي.
- إن القول بوقوع السحر لهو تصديق لقول الباطل بالحق، فقد قال الكفار: أن القرآن هو من إيحاء الجن لمحمد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ **(الاسراء: من الآية47)**.
- الذين ردّوا هذه الرواية كانوا محقين في ردّهم هذا، إذ كيف يجوز أن يتخيل النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعل شيئاً وفي الحقيقة أنه لم يفعله؟؟!! وكيف يجوز أن يتخيل النبي القدوة الحسنة والمثل الأعلى للأمة أنه يأتي نساءه وهو في الواقع غير ذلك؟؟!! من تأثير سحر الساحرين الكفرة؟؟!!
- إن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام لهم أنموذج فريد بين البشر، وهم صفوة الله من خلقه، يغار عليهم من أقل شيء يؤذيهم أو يسقط سمعتهم بين الناس، ولهو تعالى أغير على شرعه الذي جعله في فم هذا النبي من أن يقربه شيطان يخبل عقله حتى لا يدري ما فعل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

- إن الله تعالى أكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بأن القرين الذي معه أسلم فلا يأمره إلا بخير، فإذا كان كذلك فكيف يصح لنا بعد هذا أن نقول بتأثير الشياطين والجن على عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتخيل وقوع شيءٍ لم يقع.
- ثم إنها مخالفة للوقائع التاريخية الثابتة في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، حيث أنه أنهى وجود القبيلة الأولى من قبائل يهود في المدينة سنة 2هـ وهم بنو قينقاع، ثم أجلى يهود بني النضير إلى خيبر وتيماء سنة 4 هـ وأنهى وجود آخر قبائل يهود وهم بنو قريظة سنة 5هـ بعد وقعة الأحزاب مباشرة، فلم يبق لهم وجود في المدينة البتة، فكيف يسحره اليهود وهم غير موجودين؟!

القضية السابعة:

أسرى بدر

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض أبدا قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر قال: فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فلما كان يومئذ والتقوا هزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: والله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريباً لعمر فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادةٌ للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى نبي الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد قال عمر: غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر يبكيان قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الذي عرض على أصحابكم من الفداء، لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة، لشجرة العسجد، وأنزل الله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا 000إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم أحل لهم الغنائم[1].

علمنا من هذا الحديث أن القرآن نزل موافقاً لرأي سيدنا عمر رضي الله عنه، ولم ينزل موافقاً لرأي سيدنا أبي بكر، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر ولم يأخذ برأي سيدنا عمر، وبناء على هذا نزل تهديد بالعذاب، ولولا أن الله تعالى قد سبق في علمه أنه سيحل الغنائم للنبي صلى الله عليه وسلم لأنزل بهم العذاب، وبناء على هذه الرواية قال بعض العلماء بجواز الخطأ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قلت: لا بد من مناقشة هذه الرواية مناقشة علمية موضوعية حتى نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصيباً في حكمه فأقول:

01 إن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور من الله تعالى بمشاورة أصحابه، ولم يلزمه برأيٍ معين من آراء الصحابة، بل ترك له حرية اختيار الرأي الذي يرى فيه مصلحة، فقد قال تعالى (وشاورهم في الأمر) فوقعت المشاورة، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي من هذه الآراء، فهو إذاً مطبقٌ لأمر إلهي.

02 إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بما فيه مصلحة المسلمين، فقد رأى حاجة المسلمين وفقرهم، ورأى عزة الباطل وغطرسته، فأراد أن يقوي الحق وأهله بشيء من قوة الباطل، فيكون بذلك قد أصاب غرضين في شيء واحد، وهما إمداد الحق بقوة الباطل وإضعاف الباطل بأخذ مما في يده.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة 357/7.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

03 إن الله تعالى أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل موافقاً لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء في سورة محمد (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها000) وهذا هو عين ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

04 إن الله تعالى وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بأن رحمة للعالمين، قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فمن رحمته عليه الصلاة والسلام أن قبل الفداء من الأسرى عل بعضهم يعطيه الله تعالى من العمر ما يكون كافياً لدخول الإسلام قلبه فيدخل الجنة، وفعلاً حدث، فقد أسلم العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم عقيل بن أبي طالب، وأسلم سهيل بن عمرو، وغيرهم كثير، وهذا العمل هو عين الصواب، ولو قتلهم لدخلوا النار، ومعلوم أن إنقاذ واحد من النار لا يعدل به عمل لقوله عليه الصلاة والسلام: لئن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس[1].

05 في هذه الحادثة حث من النبي صلى الله عليه وسلم على طلب العلم وتعريف لأمته بفضل العلم، حيث أمر القراء من الأسرى بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة مقابل إعتاق كل واحد منهم.

06 إن النبي صلى الله عليه وسلم مجتهد في هذه المسألة، والاجتهاد يكون في حال غياب النص، فإذا وجد النص فلا اجتهاد حينئذ، وبناء عليه فإن

(1) رواه الحاكم في المستدرك 690/3 وغيره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المجتهد مأجور على كل الأحوال، فإن وافق الحق فله أجران، وإن كان خلاف ذلك فله أجر، لذا هو مأجور على كل الأحوال.

بعد هذا علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخطئ في هذه المسألة، ولم يرتكب معصية يحاكم عليها قانون السماء، بل هو عين الصواب، حيث وافق رأيه حكم القرآن الذي سبق في علم الله تعالى بحل الغنائم لأمته عليه الصلاة والسلام، قال تعالى (لولا كتاب سبق) أي بحل الغنائم له صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلاة والسلام: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض الطيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة [1].

القضية الثامنة:

عفا الله عنك لم أذنت لهم

هذه آية وردت في سورة التوبة، وقد جاءت في معرض الحديث عن غزوة العسرة (تبوك) وعرض أحوال الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم المنافقون الذين لفقوا الأعذار حتى يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء بعضهم يقول: يا رسول الله، إني رجل شديد الشهوة وإني أحب النساء كثيرا، فأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر

(1) رواه مسلم في صحيحه 370/1.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(الروم) لا أصبر فأقع في الزنا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أذنت لك، وجاءه آخر وآخر وآخر كلهم يختلق عذراً فيأذن له النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الخروج معه في هذه الغزوة، فقد أخذ النبي بظاهر أقوالهم ووكل بواطنهم إلى الله تعالى، فنزل قول الله تعالى على رسوله ﴿عفا الله عنك، لِمَ أذنت لهم؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ التوبة 43،44 ففي هذه عدة مسائل:

الأولى: بدأت الآية بتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بقوله تعالى (عفا الله عنك) وهذا من عادة العرب حيث يقدمون بعض عبارات التكريم لعظمائهم في بداية الحديث معهم، فكانوا يقولون في الجاهلية: أبيت اللعن، أصلح الله الأمير، أطال الله بقاءك وغير ذلك، فجاء السياق القرآني على هذا النسق بتعظيمه صلى الله عليه وسلم تعليماً لنا بأن نتخذ بين يدي كلامنا معه عليه الصلاة والسلام عبارات تكريمية تليق بجنابه صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في القرآن ما يؤيد هذا الرأي، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة00﴾ المجادلة: 13، ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا000﴾ النور:63 وهذا من الأدب القرآني في تعليم الأمة كيفية معاملة آحاد الناس إذا خاطبوا عظماءهم وكبراءهم من أهل الفضل.

إذاً ليس هذا من قبيل ما يفهمه بعض الناس من قوله تعالى (عفا الله عنك) أنه ذنب غفره الله تعالى له عليه الصلاة والسلام.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الثانية: قوله تعالى ﴿لم أذنت؟ لهم حتى يتبين لك000﴾ استفهام تقريري أي أن الله تعالى يقول لنبيه بعد سياق عبارة التكريم بين يدي الكلام معه عليه الصلاة والسلام: هل كان إذنك لهم حتى يتبين لك الصادق من الكاذب؟؟ وكأن الجواب منه عليه الصلاة والسلام: نعم، فيأتي استئناف الكلام من الله تعالى: لا يستأذنك الذين يؤمنون000لأن المؤمن الصادق في إيمانه لا يتخلف عنك في معركة أبدا، ولا يستأذنك إلا الذين في قلوبهم مرض النفاق.

الثالثة: إن الله تعالى قد أعطى الإذن المسبق لنبيه عليه الصلاة والسلام بصفته القائد الأعلى للجيش والدولة، بأن يأذن لمن شاء من الجند، فإذا جاءه جندي واستأذنه عليه الصلاة والسلام في التخلف عن معركة ما، فالنبي صلى الله عليه وسلم بالخيار، إن شاء أذن له، وإن شاء لم يأذن، قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم00﴾ النور 62، فهذا إذن من الله تعالى لرسوله ليأذن لمن شاء من الجند في التخلف عن معركة، وحسب ما يرتأيه نظر القائد، وحسب ما تقتضيه مصلحة الفرد ومصلحة الأمة.

الرابعة: إن الله تعالى أدب المؤمنين فيما سبق من وقائع مشابهة لهذه الواقعة، فقد شارك المسلمون في حفر الخندق عام (5)هـ وأبلوا من البلاء ما مدحهم الله تعالى به، ومارس المنافقون نفس الدور في التخلي عن الجهاد، وخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المؤمنين بأدب القرآن، فامتاز المؤمنون الصادقون في إيمانهم من المنافقين الكاذبين في ادعائهم الإيمان، فكان المؤمن حال حفر الخندق لا يغادر عمله إلا إذا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا ما عرضت لبعضهم حاجة ضرورية ذهب للنبي واستأذنه، فيأذن له النبي، فإذا ما أتم عمله عاد فوراً ولا يتأخر عن الجهاد وحفر الخندق، لكن المنافقين كانوا على العكس من ذلك، فكانوا يتسللون خفية ويغادرون منطقة العمل دون إذن مسبق من النبي صلى الله عليه وسلم، ليهربوا من الحفر والعمل والجهاد، فثم فرق بين الاستئذانين، فجاء السياق القرآني إخباراً له عليه الصلاة والسلام: أن الذي يستأذن هنا غير الذي يستأذن هناك، إنهم هناك كانوا على رأس عملهم، فالذي يستأذن هناك (أي في غزوة الخندق) هو المؤمن، حيث يطلب من قائده إجازة وإذناً يغادر فيه بعض الوقت لإنجاز عمل ضروري، أما الذي لا يستأذن قائده أثناء العمل والجهاد هو فارٌ من الزحف، أما هنا فعلى العكس من ذلك، فالكل في غير منطقة الجهاد، وإنما هو إعداد لمعركة، فالذي يستأذن هنا هو الذي تسلل فيما سبق وغادر منطقة العمل بدون إذن من قائده، وأما الذي لا يستأذن هنا هو الذي كان يستأذن فيما سبق وهو المؤمن الصادق.

الخامسة: إن الذين كانوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم هم منافقون، وقد علم المسلمون فيما بعد أنهم منافقون بعد نزول القرآن، وبقي البعض منهم متخفياً يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وفي آخر الأمر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أخبر الله تعالى رسوله عنهم، فكان يعرفهم عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى نهاه عن الصلاة على من مات منهم، فمن مات ولم يصل عليه النبي علم المؤمنون أنه منافق، وهذا تعليم لنا على مر العصور بأنه إذا كان في زمن النبوة ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منافقون، فالأجدر بنا أن يندس بين صفوفنا منافقون، فإذا ما تم ذلك عاملناهم كما عاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن نأخذ الأمر على ظاهره، ونكل بواطنهم إلى الله تعالى، إذ نحن غير مكلفين بالشق عن قلوب العباد.

هذا خير ما يقال في هذه الحادثة، لا أن نفسر الأمر كما فسره بعض المفسرين القائلين: بأن الله تعالى أخبر رسوله بالعفو قبل الذنب حتى لا ينخلع قلبه.

فإن هذا خرص من القول، ورجم بالغيب، وقول لا دليل عليه، وتقول على الله تعالى بما لم يقل، فما هو الذنب الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم حتى ينخلع قلبه؟؟؟؟؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com